الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

République Algérienne Démocratique et Populaire.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي .

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique.

جامعة 08 ماي1945 قالمة.

كلية اللغات والآداب.

Université 08 mai1945 - Guelma.

Faculté: des Lettres et des Langues.

N° :..... الرقم:.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر .

(تخصص : لسانيات تطبيقية و تعليمية اللّغة).

مصطلحات علوم اللسان عند ابن خلدون في ضوء النظريات اللسانية الحديثة.

قراءة ابستمولوجية.

ـ مقدمة من طرف :

إيمان مومنـــي .

ـ تاريخ المناقشة : .....

ـ العياشي عمياز : رئيسا . الرتبة : أستاذ محاضر " ب " . جامعة قالمة .

ـ صالح طواهري : مشرفا و مقررا. الرتبة: أستاذ مساعد "أ" . جامعة قالمة .

ـ أسماء حمايدية : ممتحنا . الرتبة : أستاذ مساعد "أ" . جامعة قالمة .

السنة 2015 .

مقدّمة:

إنَّ أهم شيء في العلم أن نُسمي الأشياء بأسمائها وهو مجال تفوّق الأمم في العصر الحديث .

وتأتي هذه الدراسة لتنصب على طبيعة وأصل و حيز المعرفة لتكشف مدى التّحكم في المصطلحات الخاصة بعلم اللغة ومدى فهمها للتقاطع المعرفي بين العلوم ، وهو أساس الدراسات الحديثة اليوم ، وصورة للثقافة العربية القائمة على النّظر الموسوعي في الدرس العربي في صُورته الأولى.

وإذا كانت اللّسانيات ما هي إلا منهجية وطريقة بحث وليست بديلاً للنحو ، والصرف ، و المعجم ، فهل نقول بالقطيعة بين علوم اللسان في مقدّمة ابن خلدون و اللّسانيات .

وهل تتجلى اللّسانيات في البنية الرباعية الأركان علوم اللّسان العربي انطلاقا من علم اللّغة و النحو ، والبيان ، و الأدب؟ .

وهل تقسيم ابن خلدون علوم اللّسان إلى أربعة أركان يدُّل على أن هذا التقسيم لا يأتي إلا من لّغوي متخصّص ؟. سبق تشومسكي اللّغوي المعاصر في تحديد مفهوم الملكة اللّغوية على أنها قدرة كائنة في الفرد ، وتوصّل إلى تحديد مفهوم ارتقاء الملكة إلى صناعة يتم عن طريقها المراس و التكرار . و بهذا انطلق في تنظيره لعلوم اللّسان العربي من واقعه اللّغوي مما يدل على النّظرة الوصفية التي امتاز بها .

كما يدل على إدراكه للدور المصطلحي في أداء المفاهيم وصياغته ، وفي توقُّف فهم العلوم عليها ، كما عبّر عن كل مصطلح بما تصوَّره من مفهوم دقيق لهذا المصطلح .

وهذا الذي اعْتَمَدَتْه في الدراسة الموسومة بـــ" مصطلحات علوم اللسان عند ابن خلدون في ضوء النظريات اللسانية الحديثة قراءة ابستيمولوجية" . حيث تتنزل هذه القراءة في ضوء اللسانيات منزلة ذات بُعد حضاري تقوم على أساس استرداد الدرس اللغوى العربي لوهجه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأصيل البحث اللساني

المعاصر في الظاهرة اللغوية المعاصرة من غاياتها وأهدافها ، وقراءة التصورات اللغوية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث و التوفيق بين الفكر اللغوي القديم و النظريات اللسانية الحديثة و بالتالي إخراجها في حُلّة جديدة .

و من الأسباب التي حفزتني لاختيار هذا الموضوع هو التفحص في مقولة القطيعة بين الدرس الحديث في علوم اللغة و الدرس القديم ، فترى أن ما سبق سوسير هي دراسات تقليدية لا ترتقي إلى مستوى العلمية وأن ما بعد سوسير هي الدراسة العلمية .

يضاف إلى هذا وجود مادة علمية غزيرة لابن خلدون ينبه عليها كثير من العلماء فأردت أن أُميط اللثام عليها وأبرزها في دراسة مختصة آمل أن أسد الفراغ الموجود في هذا الشأن في قراءة تتفحص الأصول وتكون مكملة لتلك الدراسات .

و المنهج المتّبع في هذه الدراسة وصفيٌّ تفسيريٌ يرصد الظاهرة اللّغوية عند ابن خلدون من خلال استجلاء منطلقاتها الفكرية و مدى انسجامها مع الأبعاد النّظرية الحديثة ليعيّد إلى الأذهان ما تُنوسي من قضايا مهمة حول مصطلحات علوم اللّسان العربي من خلال إرجاع الأمور إلى أصلها و النّظر في أصولها ، وكشف كثير من قضايا اللّغة كان لعلمائنا فيها قصبُ السبق .

إنّ هذا البحث يعمل على تتبع المعطيات النظرية لعلم اللغة الحديث في إعادة كشف السبق التاريخي و الحضاري في مجال الدراسات اللغوية وإبراز لبنات الدرس اللساني الحديث الذي لا يعدو إلا أن يكون بناء لما ورد في علوم اللسان العربي من صوت، وصرف، ونحو، ومعجم.

وهذا التفصيل الوصفي لعلوم اللسان عند ابن خلدون يكشف منجزاته العلمية التي تقوم على رؤية متكاملة تقدم لنا شريحة مهمة داخل المنظومة الشاملة للتفكير اللغوي عند العرب ،و تكشف أسرار الظاهرة اللسانية التي لم يهتد إليه الدرس اللغوي إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين ومدى استفادته من التراكم المعرفي .

وتبدأ طريقة التحليل بالجزئيات وتنتهي بملاحظات عامة على كل قضية من قضايا

علوم اللسان من خلال الربط بين المقولات النظرية و الأمثلة التطبيقية على مدار البحث، كما ناقشت هذه القضايا في ضوء معطيات علم اللغة الحديث .

وقد ارتأيت أن تتجسد هذه الخطة في ثلاثة فصول يسبقها مقدمة ومدخل تمهيدي يتناول مقدّمة ابن خلدون وتداخل المعارف.

يتناول الفصل الأول : أركان علوم اللسان في مقدّمة ابن خلدون ، وهذا التفصيل الوصفي يكشف منجزاته العلمية .

ويتناول الفصل الثاني : رؤية ابن خلدون لعلوم اللسان ومعالم الإبداع داخل المنظومة الشاملة عند العرب .

ويتناول الفصل الثالث : قضايا علوم اللسان عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة الحديث .

وقد حرصت أن يكون كل فصل ممهدا للفصل الذي يليه خادما له من خلال مقاربة منهجية وموضوعية لعلوم اللسان عند ابن خلدون ، وذلك بتسليط الضوء على علم من الأعلام الموسوعيين العرب، والمؤسسين للمنظومة الفكرية المتكاملة في العلوم اللغوية العربية.

والكتابة في هذا الموضوع يكتنفها بعض الصعاب منها: صعوبة التأصيل لبعض المصطلحات ، وتشعب مباحثه مما يجعل تتبعها في الدرس العربي ، والدرس الغربي أمر ليس باليسير .

وقد اعتمدت على صنفين من المصادر الأولى تراثية و الثانية حديثة لأن محور بحثي يقوم على قراءة الفكر اللغوي لابن خلدون المنهجي خاصة ما يتعلق بعلوم اللسان و محاولة مقارنتها بالدرس اللغوي الحديث .

ومن الكتب المتخصصة التي اعتمدتها وكان لها الفضل في تذليل الكثير من الصعاب نذكر منها:

1 ـ حافظ إسماعيلي علوي، احمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات.

2 ـ عبد الرحمان الحاج صالح :بحوث ودراسات في علوم اللسان.

3 ـ عبد السلام المسدي :اللسانيات وأسسها المعرفية.

4ـ كمال بشر :التفكير اللّغوي بين القديم والحديث .

وشكري الجزيل إلى الأستاذ المشرف صالح طواهري الذي بذل جهدا كبيرا كي يخرج هذا البحث على هذه الصورة، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة، وإلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد.

المدخل :

مقدّمة ابن خلدون وتداخل المعارف.

تمهيد.

أ) ـ تشابك المعارف في المقدّمة.

ب) ـ الظاهرة اللسانية وتحكم قوانين العمران البشري فيها.

ج) ـ مقدّمة ابن خلدون والطابع الموسوعي.

تمهيد:

تأتي هذه الدراسة للبحث في الرؤية الخلدونية للظاهرة اللسانية التي غطى عليها ابن خلدون المفكِّر الاجتماعي ، والسياسي، وفيلسوف التاريخ ، فجاءت المقدّمة لتكشف أن اللسان قرين الإنسان، وتحكم قوانين العمران البشري فيه.

أ) ـ تشابك المعارف في المقدّمة:

إنه لمن المدهش أن توضع الأسس لمنهج التاريخ ، و الحضارة ، و المجتمع، وربط أعمال البشر بنواميس كيانهم وأحوال حياتهم وأوضاع مجتمعهم [1] بقلعة من قلاع الجزائر اعتكف فيها ابن خلدون [2] على مقدّمته الشهيرة التي تعدّ فتحا

---

1 ـ أنور الجندي: نوابغ الفكر الإسلامي : دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1983 ، ص: 373 .

2 ـ ولد ابن خلدون 732 هـ 1332 م في تونس ، وكتب مقدّمته بالجزائر بين أعوام 776 ـ 778هـ من خلال خبرته وتجربته في الأندلس والمغرب. وحين تقرأ هذه المقدّمة تحس منه وهج العبقرية لذلك قيل عنه: إنه واحد من العباقرة العشرة في الإسلام ، وهو واحد من المطوفين في الأرض : الغزالي، والشافعي، والبخاري، وابن خلدون. وهو في حساب الفلاسفة فيلسوفا، وبين المؤرخين منشئ علم التاريخ، وعند البلغاء كاتب تحرير، وصاحب دراية بطرق التدريس في المغرب وإفريقية، والأندلس، ومصر.

ـ في حياته رأى الأهوال من أنباء الدول تقوم وتزول، ورأى "تيمورلنك" المغولي يجتاح الشام، والإسبان يتهيؤون للوثوب إلى غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس.

ـ التقى بعشرات الملوك والسلاطين، وفيهم من عرض عليه الإقامة فأقام، وفيهم من قلّب له ظهر المجن فمضى في سواد الليل. ولكن نفس ابن خلدون المتطلعة إلى الصدارة والمجد لم تركن إلى ضيم، ولم تقبل الإقامة في الذل فتركت الأندلس إلى المغرب، وتركت المغرب إلى المشرق.

ـ عاصر ابن خلدون الأحداث في دولة المرابطين والموحدين، وأمارات بني حفص، وبني مرين، وبني عبد الواد، وقطع الهضاب والصحار ي متغلغلا بين القبائل دارسا طبائع المجتمع وأحواله مطالعا باحثا مسجلا الطبائع والنظم. وفي خلوته في تلمسان بالجزائر كتب المقدّمة.

وقد اعتكف في قلعة ابن سلامة بتلمسان يراجع نفسه ويراجع التاريخ، فوضع مقدّمته التي ترجمت إلى لغات عدّة. ـ أنور الجندي: م ن ، ص: 360 ـ 370 .

جديدا في أصول علم الاجتماع، و علم الاقتصاد، والتاريخ ، والسياسة ، واللغة والأدب، وطرق التدريس. وأتمها في خمسة شهور، فلما رحل إلى تونس أتم فصول كتاب :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر [1].

وقال عن هذا الكم من التداخل المعرفي بين علوم كثيرة " واكتملت المقدّمة على هذا النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة ، فسالت شآبيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها، وتآلفت نتائجها "[2].

إن هذا التداخل بين هذه المعارف الكثيرة يكشف أن مقدّمة ابن خلدون التي سبقت النهضة العلمية في الغرب ، أعادت إلى الدرس العربي صفة التداخل بين العلوم .

ومثل هذا التقاطع في العلوم هو الذي تناوله تشومسكي في أعماله فشكّل التداخل بين اللسانيات، والعلوم المعاصرة صورة لما نجده في مقدّمة ابن خلدون التي ألغت الحدود بين المعارف، ومهدت لمفهوم الطابع الموسوعي .

وإذا عدنا إلى سلسلة الموسوعة اللغوية نجد مثل هذا التقاطع في المجلد الثاني من محتويات الكتاب مثل: اللغويات النفسية واللغويات العصبية ، واللغويات (الأنتروبولوجية)، واللغويات الاجتماعية، واللغة والأدب، واللغة والحسابية [3].

وبذلك تتداخل اللسانيات والعلوم المعاصرة، فاللسانيات المعاصرة تنتمي إلى منظومة معرفية متشابكة تضم المنطق، والرياضيات، وعلم الأحياء، والعلوم المعرفية، وأبرز هذه الصورة تتضح في الأمر الجامع بين "تشومسكي" و"غاليلي" (1642 - 1564 م) إنهما

1- أنور الجندي: م س ، ص: 363 .

2- م ن ، ص: 363 .

3- ن، ي، كولنج: الموسوعة اللغوية ،تر: محي الدين حميدي، عبد الله الحميدان، النشر العلمي والمطابع، المملكة العربية السعودية، 1421 هـ/ 1998 م، ص: 660 .

دشنا معا فترة جديدة في تاريخ البحث العلمي؛ الأول في مجال اللغة، والثاني في مجال الفيزياء. غير أن الأسلوب "الغاليلي" في البحث لم يبق أسير العلوم الطبيعية، بل أصبح أسلوبا متداولا في خريطة بعض العلوم الإنسانية ، وخاصة اللسانيات، وقد كان ذلك بفضل نظرية تشومسكي[1].

وهو ما جاء به مشروع الذخيرة للساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح حين قدّم نماذج للمزج بين المهندسين واللغويين.

فلا غرابة أن نجد ابن خلدون يكسب قصب السبق، ويضع مقدّمة تكون نموذجا للتقاطع المعرفي بين العلوم ، وتسمح بعبور المفاهيم وآليات التحليل والاستدلال من علم إلى آخر.

إن بناء النموذج المعرفي عنده يتجاوز عملية استقراء جزئيات الواقع والظواهر إلى الكشف عن تشكلاتها وبنيتها في إطار نسق عام فيكون مفهومه للأدب "هو حفظ أشعار العرب وأخبارها و الأخذ من كل علم بطرف" [2].

<u>ب) ـ الظاهرة اللسانية وتحكم قوانين العمران البشري فيها:</u>

لم يقتصر مجال علوم اللسان العربي عند ابن خلدون على النحو، واللغة بل ضم إليهما علم البيان وعلم الأدب. وبذلك لم يفصل بين علوم اللغة بمعناها المحدّد، والدراسة الأدبية[3].

وهذا ما أبرزه في الفصل السادس من مقدّمته في علوم اللسان العربي فذكر أركانه ،

---

1 ـ احمد الملاخ، إسماعيلي علوي: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، منشورات اختلاف، ط1، 2009 ، ص: 148 .

2 ـ ابن خلدون: المقدّمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 5 ، 1984 ، ص: 553 .

3ـ محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مُقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات ، الكويت، د ت، ص: 68 ، 69 .

وهي اللغة، والنحو، والبيان، والأدب ومعرفتها ضروريّةٌ على أهل الشريعة [1].

كما اشتراط كثرة العلوم بتوفر العمران والحضارة (فمتى كان العمران أكثرَ كانت الحضارة أَكْمَلَ..).[2]

وهو ما مثّل له ابن خلدون بسكان الأقاليم المنحرفة حيث يقل العمران وبذلك تقل فرص التعليم والتطور أمام الفرد..[3].

ومن النماذج أيضا ما يحصل في التعليم ؛ لهذا نجد ابن خلدون يربط بين التربية من ناحية وبين الرقي الاجتماعي من ناحية أخرى فالعلوم تكثر حيث يكثر العمران لأن تعليم العلم من جملة الصنائع لذلك يقول: " ألا ترى إلى أهل الحضر مع أهل البدو ، كيف تجد الحضري متجليا بالذكاء ممتلئا من الكيس، حتى إن البدوي ليظنه أنه قد فاته في حقيقة إنسانيته وعقله، وليس كذلك . فما ذلك إلا لإجادته من ملكات الصنائع والآداب، في العوائد والأحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي. فلما امتلأ الحضري من الصنائع وملكتها وحسن تعليمها ظن من قصر عن تلك الملكات أنّها لكمال في عقله، وأنّ نفوس أهل البدوي قاصرة بفطرتها وجبلّتها عن فطرته ، وإنّما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك فهو رونق الصنائع والتعليم" [4].

ومن ثم تأتي " الضرورة العمرانية والتي تنتج عنها باقي الضرورات أو قل هي علّة

1- ابن خلدون : م س، ص: 545.

2- م ن ، ص: 372 .

3 ـ الجيلاني بن التوهامي مفتاح: فلسفة الإنسان عند ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2011 ، ص: 38 .

4 ـ ابن خلدون :م س، ص: 433 ، 434 .

العلل في العمران البشري ، وهي أصل الابداع والتطور الانساني في هذا الكون[1]

ج) ـ مقدّمة ابن خلدون والطابع الموسوعي:

لقد كشفت هذه المقدّمة عن الطابع الموسوعي لثقافة علماء العربية ، وبينت بالملموس أنه سابق في هذا المضمار ، فهو ليس مؤرخا فحسب أو صانعا لعلم التاريخ وحده، ولكنه واحد ممن يحملون نظرة متكاملة ، ومتجدّدة للفكر الإسلامي كلّه. [2] وكانت آخر الأعمال تقريبا الفكرية الضخمة ، قبيل النهضة الأوروبية[3].

وتنوعت معارفها في موقفه الواضح من أشياء كثيرة أهمها بحثه عن إبطال الفلسفة وفساد منتحليها، وهو لا يعني بالطبع الفلسفة بمفهومها العام " الطبيعية والرياضية" وإنما يعني الفلسفة الميتافيزيقية اليونانية وهو في هذا أقرب من مفاهيم الغزالي، فقد رد على أرسطو، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وخلص إلى مخالفتهم [4] ، لهذا تناول الفلسفة بحذر.

كما أدرك فساد ما ظهر في عصره وفي العصر السابق له من اضطراب في مناهج التعليم والتربية فشن حملة واسعة على طريقة التعليم في عصره التي لا تتبع التدرّج في إعطاء المعارف، وتقديم الصعب منها في المقدّمات ، وهاجم أسلوب القهر في التربية والتعليم وحمّله مسؤولية التأخر والتخلف، وأبان عن أنه يؤدي إلى الكسل وحمل النفس

---

1 ـ الجيلاني بن التوهامي مفتاح: م س ص: 25 .

2ـ أنور الجندي: م س ،ص: 367.

3 ـ م ن ، ص: 370 .

4 ـ م ن ، ص: 371 ، 372 .

على إضمار خلاف ما تظهر [1].

واستعرض الأساطير التي قَبِلها المؤرخون من قبله وعرضها على قانون العقل وقانون النواميس الاجتماعية والسنن الطبيعية للكون ، وتجرّد لها تجرّد الفاحص ، فكان عمله أكثر دقّة وامتيازا بالنسبة لمن سبقه من المؤرخين [2].

وبهذا جمعت المقدّمة صورة للتقاطع المعرفي، والثقافة المشتركة التي صارت اليوم ثقافة العصر، ومِيزة الدرس الحديث فكأنها كُتبت من مجموعة متخصصين في شتى العلوم والفنون. لهذا نجده يذكر ما يلزم دارس علم أصول الفقه إذ يتعيّن عليه النظر في دلالة الألفاظ ، وذلك أن استفادة المعاني على الاطلاق من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقّف على معرفة الدّلالات الوضعية مفردةً ومركبة، والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو، والتصريف، والبيان ،ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام ، فكانت كلّها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية [3].

وهو ما توفر في الدرس اللساني الحديث الذي قيل عن اللسانيات "إنها علم تأسس على جذع كلّي يتفرّع أفناناً بحسب المشارب وحقول الاهتمام ، وذاك الجذع في كل المعارف هو الجانب النظري من ذلك العلم"[4].

كما يظهر التداخل المعرفي في مقدّمة ابن خلدون في ربطه لأركان علوم اللسان بالشريعة

1- أنور الجندي : م س، ص: 372 .

2 - م ن ، ص: 373 .

3 - ابن خلدون : م س ، ص: 454.

4 - عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر/ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986 ، ص:19 .

آخذا في الحسبان العلاقة الوطيدة بين المجتمع والتاريخ، واللغة والمجتمع، واللغة والتاريخ.

كما جمع بين علوم شتى مثل: علم التاريخ، وعلم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الهندسة، وعلم الأدب، وعلم الحساب...

وقد انطلق ابن خلدون في تنظيره لعلوم اللسان من واقعه،وأدرك أن اللغة بمعنى الكلمة المفردة يعتريها التغيير بسرعة أو النحو نظام عام للألسن البشرية لا يتغيّر بسرعة فألم بالمسألة اللغوية ، فلا غرابة أن نجد في البحوث اللسانية الحديثة أن تشومسكي يسمي بحوثه بالنحويات.

وكذلك ربطه للتربية والتعليم بالحياة الاجتماعية، وعد التربية والتعليم ظاهرة اجتماعية. وإذا كانت مقدّمة ابن خلدون آخر أثر علمي قبل النهضة الغربية، فهو سابق لكثير من الرؤى التي تربط بين التقدم في مجال التعليم وبين التقدم الاجتماعي ، وربط الأسس النفسية بالعملية التعليمية سواء فيما يرتبط بالمتعلّم نفسه، أو بالمعلّم وطرائق التعليم. وعدّ استعمال القواعد والقوانين لتعليم اللغة وسيلة وليست هدفا بحد ذاتها. وطالب بالممارسة اللغوية بمختلف الأساليب لتعليم اللغة.

لقد انتظمت المعرفة في مقدّمة ابن خلدون في إطار تصوّر موسوعي في شكل شبكي مترابط لهذا قيل عن المعرفة الموسوعية إنها منظومة منضدّة من المفاهيم تمتد في مجالات كثيرة وبانتظامها ذاك تتحدّد قيمة الواحد منها على درجات ما بين مركزي أو هامشي وما بينهما، وموقعه في تكوين الإطار الدلالي المقترن بها [1].

وإذا كان للمعرفة الموسوعية في النص ؛ مفهومان: علميّ ابستمولوجيّ خاص، وثقافي عامّ. فهي بالأول جملة المعارف و المعلومات الثابتة الصحيحة التي كانت البرهنة

---

1 - الأزهر الزّناد: النص والخطاب، مباحث لسانيّة عَرْفنية، مركز النشر الجامعي،دار محمد علي، ط1 ، 2011 ، ص: 79 .

عليها في مختلف المجالات والعصور. وهي بهذا المفهوم عدد من الأفكار أو المهارات يتلقاها الفرد أو المجموعة في إطار تعليميّ أو صناعيّ مهني تُتلقى فيه الحقائق بشكل محدود لا يتجاوز أهل المهنة أو الحرفة أو الصناعة أو قوما محدودين عرفاً أو عقيدة. أما المعرفة في المفهوم الثقافي العامّ فهي كلّ ما يمثل معتقدات الفرد أو المجموعة في جميع مظاهر الفكر والحياة في علاقة الفرد بمحيطه البيئي أو الاجتماعي ، وفي علاقته بالكون وبما يسعه من معتقدات، وهي جملة الأفكار والقيم التي بها ينقاد الفرد في سلوكه وبها يفسّر ما بان من الظواهر وما خفيّ من شكل منظوميّ يستقيم به عنده نوع من التوازن ما بين السؤال وجوابه ، أو ما بين الظاهرة وتفسيرها [1].

وهو ما وفره ابن خلدون من تفسير لقيمة المعرفة من خلال إجابته على التساؤلات التي تتعلق بالشيء المشترك الذي يربط بين كل الأنواع المتشعبة ، فجعل من مقدّمته فتحا جديدا في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والتربية.

---

1 ـ انظر: الأزهر الزّناد: م ن ، ص: 79 .

الفصل الأول: أركان علوم اللسان في مقدّمة ابن خلدون .

تمهيد:

أولا- مفهوم اللسان كموضوع للدراسة العلمية:

ثانيا - استخدام ابن خلدون لمصطلح اللغة:

ثالثا - أركان علوم اللسان الأربعة :1- علم النحو.2- علم اللغة. 3- علم البيان. 4- علم الأدب .

رابعا - العلاقة القائمة بين الأركان المؤسسة له: أ) - العلاقة الجدلية بين علمي النحو واللغة . ب) - علم البيان وعلاقته بالنحو واللغة.

تمهيد:

قبل أن نلج إلى إبراز أركان علوم اللسان في مقدّمة ابن خلدون يجدر بنا أن نعرض إلى مقاربة مصطلحية تتوفر على الحدّ والتعريف لإبراز العلاقة الجدلية بين هذه الأركان كي يكون هذا الميدان موضوع العلم.

وهل تمثل ابن خلدون للغة كفعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام لتحقيق فكرة التبليغ والتواصل؟ وهل تضمنت هذه الأركان قوة متضمنة في القول؟ .

<u>أولا ـ مفهوم اللسان كموضوع للدراسة العلمية:</u>

إن كلمة اللغة كانت تدل دائما على مفهوم اللسان، أي على ما حدّه ابن جني بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [(1)]، فالعربي إذا ذكر اللسان يقصد به اللغة بمفهومها الدراسة العلمية للغة، وهو المعنى الذي قصده ابن جني، وإذا ذكر اللغة يقصد بها المعنى الأول ، كما يقصد بها اللهجة [(2)]. وهذا يطلق على الكيفيات الأدائية ، أو ما يسمى بالأداء اللهجي.

كما أن كلمة لغة لم ترد في القرآن، وإنما وردت كلمة لسان للدلالة على جملة معاني منها: اللغة بمعنى رصيد الكلمات والقواعد الذي تملكه الجماعات اللغوية كقوله تعالى : (وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إلاَّ بلسانِ قَومهِ) [إبراهيم:4] . والكلام بمعنى الاستعمال الفردي في قوله تعالى :(لُعِنَ الذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إسرَائيلَ عَلى لِسانِ دَاوُودَ وَعِيسَى بنَ مَريمَ) [المائدة: 78]

---

1 ـ ابن جني : الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط2، 2003 ، ص :87 .

2ـ انظر كتاب سيبويه: تح ؛ وشرح ،عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 ، 1988 ،ج 1 ، ص: 59 ، 384 . في مثل قوله: وهذا في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى حين مثّل بقوله تعالى (مَا هَذَا بَشَرا) [يوسف: 31]. وقوله "ما زيدٌ إلا منطلق تستوي فيه اللغتان" .

ومن هنا يكون لمفهوم اللسان المفهوم الذي أثبته سوسير للغة بصورتها الجماعية، وبأدائها الفردي. [1]

ومعنى هذا أن كلمة "لسان" أكثر شمولية واستيعابا من كلمة "لغة" زيادة على ذلك أن كلمة لسان تعد في المعجم الأساسي المشترك في اللغات السامية، وقد ترددت في فهرست ابن النديم بمعنى لغة في مثل قوله: اللسان العربي، واللسان السرياني، واللسان اليوناني، في حين أن كلمة لغة يونانية الأصل[2].

وإذا كانت في الدرس الحديث اكتسبت اللغة سمة الطابع الاجتماعي فإن النظرة الاجتماعية إلى اللغة عند ابن خلدون ذات عمق واتساع ، "فقد استطاع بثاقب نظره أن يعي معنى التغير أو التنوع اللغوي بتنوع البيئات الاجتماعية ، فتكلّم عن اللغة المشتركة، وأفاض في الحديث عن اللهجات ... والحق أن ما جاء به ابن خلدون في هذا السبيل على الرغم من ذكره متناثرا في مقدّمته ، يصلح أن يكون بداية علمية لذلك الفرع من الدرس الذي تطور أخيرا وأصبح علما مستقلا يعرف بعلم اللغة الاجتماعي أو علم الاجتماع اللغوي " [3].

وهو ما أكده "بنفنيست" حين اعتبر اللسان هو الوجه الدّال في المجتمع ؛ فلا يوجد

1- إن اللغة مؤسسة اجتماعية ولكنها تتميز عما سواها من المؤسسات السياسية وغيرها بعدة سمات...

.. وإذن فإنه من الممكن أن نتصور علما يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية .- فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، 1985، ص : 37.

2- محمود فهمي حجازي: م س، ص: 310 وما بعدها.

3- كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، 2005 ، ص: 199 .

مجتمع ، دون وجود لغة، ولا وجود للغة دون وجود مجتمع [1].

ثانيا ـ استخدام ابن خلدون لمصطلح اللغة:

أما مصطلح "علم اللغة" فقد استخدم عند بعض اللغويين المتأخرين، وكان المقصود منه دراسة الألفاظ مصنّفة في موضوعات بحث دلالتها.

فالرضي الاستراباذي يفرّق بين علم اللغة وعلم التصريف، موضوع الأول دراسة الألفاظ، والثاني معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ.

أما أبو حيان فقد ذكر مصطلح علم اللغة في عدة كتب، وموضوع علم اللغة عنده هو دراسة "مدلول مفردات الكلم" ولا يختلف استخدام مصطلح علم اللغة عند ابن خلدون عن هذا المعنى، فعلم اللغة عنده هو بيان "الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها ، وهو أشد من اللحن في الإعراب"[2] . والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها الألفاظ.

ويوضح كل هذا أن مصطلح علم اللغة كان يعني عند الرضي الاستراباذي، وأبي حيان، وابن خلدون دراسة المفردات وتصنيفها في مفاهيم وكتب. وهذا الذي قصده ابن خلدون بقوله "إن هذا العلم هو بيان الموضوعات العلمية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطتِ القوانين لحفظها" [3].

وبهذا وجدت محاولات لوصف علوم اللغة مجتمعة فسميت "علم اللسان" أو "علوم اللسان العربي، أو علوم العربية. وهذا الذي نعمل على تحديده في هذا الفصل.

---

1 ـ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة ، دار الحوار اللاذقية، سورية، ط1 ، 2007 ،ص: 49

2 ـ ابن خلدون: م س ص: .550

3 ـ م ن ، ص: 548 .

ثالثا ـ أركان علوم اللسان الأربعة:

انطلق ابن خلدون في تنظيره لعلوم اللسان من واقعه اللغوي[1]. و جعلها في الأركان الأربعة؛ وهي اللُّغَةُ، والنَّحْوُ، و البَيَانُ، و الأَدَبُ [2]. ويمكن توضيحها في المقدّمة كالآتي:

1- علم النحو :

ويمثل جملة النواميس المحرّكة للظاهرة اللّغويّة [3]. وتأتي اللسانيات كإقرار له[4].

1- وهو ما سمّاه سوسير باللسانيات الوصفية وهي إحدى أشكال أو صور الظاهرة اللسانية، أي لغة معيّنة. وهي مرتبة من مراتب الظاهرة اللسانية حيث نجد في قمّة التصنيف جملة المؤسسات البشرية وضمنها علم "الدلائلية" الذي يشمل سائر الأنظمة الدلائلية، وفي المرتبة الموالية نجد الألسنية العامة التي تشمل مختلف الأشكال اللغوية ولا تتوصل إلى إدراك قوانين الظاهرة اللسانية إلا من خلال مختلف اللغات. وفي المرتبة اللاحقة توجد الألسنية الخاصة أو الألسنية الوصفية ، وهذا ما قام به ابن خلدون ويتصل بلغة معيّنة على أن الوقوف على قوانين تلك اللغة لا يتم إلا بالاعتماد على مختلف صور استعمالها أي من خلال اللفظ. وفي المرتبة الأخيرة نجد اللفظ، أي الاستعمال بكل متكلّم وهو يدرس في نطاق ما سماه سوسير بألسنية اللفظ وعَدَّهُ ذا قيمة ثانوية. ـ عبد القادر المهيري وآخرون: أهم المدار اللسانية، منشورات المعهد القومي لعُلوم التربية، ط 2 ، تونس، 1990 ، ص: 13 .

2 ـ وقال عنها: ومعرفتها ضروريّةٌ على أهل الشَّريعة إذ مأخَذُ الأَحكام الشّرعيّة كُلّها من الكتاب والسُّنَّة وهي بلغة العرب ونَقَلَتُها من الصّحابة و التّابعين عرب ، و شرح مشكلاتها من لُغاتهم فلا بُدَّ من معرفة العُلوم المتعلّقة بهذا اللّسان لمن أراد علم الشَّريعة و تتفاوت في التّأكيد بتفاوت مراتبها في التَّوفيَة بمقصود الكلام حسبما يتبيَّنُ في الكلام عليها فنَّاً فنَّاَ و الذّي يتحصّلُ أنَّ الأهمَّ المقدَّم منها هو النَّحو إذْ به تتبيَّن أصول المقاصد بالدَّلالة فيُعرف الفاعل من المفعول و المبتدأ من الخبر ولولاه لجُهل أصل الإفادة وكان من حق علم اللُّغة التّقدّمُ لولا أنَّ أكثر الأوضاع باقية في موضُوعاتها لم تتغيَّر بخلاف الإعراب الدّالّ على الإسناد و المسند و المسند إليه فإنّه تغيّرٌ بالجملة و لم يبقَ له أثر فلذلك كان علم النَّحو أهمَّ من اللُّغة إذ في جهله الإخلالُ بالتّفاهُم جملة وليست كذلك اللُّغة . ـ ابن خلدون : م س ، ص: 545 .

3 ـ عبد السلام المسدي: م س، ص: 15 .

4 ـ م ن ، ص: 42 .

و سيطرته على الحدث اللغوي تأتي من خلال تركيزه على مبدأ الإفادة ، ومقصود الكلام، وغرض المتكلم ، وهذا ما أبرزه ابن خلدون في قوله " اعلم أنَّ في المتعارف هي عبارةُ المُتَكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌّ فلا بدَّ أن تصير ملكة متقرّرةً في العضو الفاعل لها وهو اللّسانُ وهو في كُلّ أُمَّة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسنَ الملكات و أوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرُور أَعني المُضاف و مثل الحروف التي تُفضي بالأفعال إلى الذَّوات من غيْر تكلُّف ألفاظ أُخرى وليس يوجد ذلك إلاَّ في لُغة العرب وأمَّا غيرها من اللّغات فكلُّ معنىً أو حالا لا بدَّ له من ألفاظ تخُصُّة بالدّلالة و لذلك نَجدُ كلام العَجم من مخاطباتهم أطول ممَّا تُقدَّرُهُ بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلَّى الله عليه و سلَّمَ أُتيتُ جوامع الكلمِ واختصارا فصار للحرُوف في لُغتهم و الحركات و الهيئات أي الأوضاع اعتبارٌ في الدَّلالة على المقصود غير مُتكلّفين فيه لصناعة يستفدون ذلك منها إنّما هي ملكة في ألسنتهم يأخُذُها الآخر عن الأوَّل" [1].

وفي النحو نجد ابن خلدون يهتم بالمسائل الإعرابية في النحو، فهو من أظهر القرائن التي بها يستقيم الكلام العربي ، ويأمن من الانحراف عن الصحة القاعدية والصوابية التي ينبغي أن يكون عليها الأسلوب العربي ، ويعرض إلى فرسان هذا الميدان في العربية، ومدارسة المتتالية ، فرّق فيها آراؤه في النحو والنحويين ، وفي التآليف النحوية، وفي قوانين هذا العلم وفلسفته [2].

---

1 - ابن خلدون: م س ، ص: 546-547 .

2 - كما تَأخذ صبيانُنا لهذا العهد لُغاتِنا فلمَّا جاء الإسلام و فارقوا الحجاز لطلب المُلك الذي كان في أيدي الأمم و الدُّول و خالطُوا العجمَ تَغَيّرت تلك المَلَكةُ بما ألقى إليها السَّمعُ من المُخالفاتِ الّتي للمُستعربينَ و السَّمعُ أَبو المَلكات اللّسانيةِ ففسدت بما أُلقيَ إليها ممَّا يُغايرُها لجُنُوحِها إليه باعتياد السَّمع و خشِيَ أَهلُ العلوم منهم أن تَفسُد تلك الملكةُ رأساً و يطُولُ العهدُ بها فينغلقُ القُرآنُ و الحديثُ على المفهوم فاسْتَنْبَطُوا من مَجَارِي كلامهم قوانين لتلكَ الملكة مُطَّرِدَةً شِبه الكُلِّيَّات و القواعد و يقيسُون عليها سائر أنواع الكلام و يُلْحقون الأشباه بالأشباه. - م ن ، ص :546 .

ومن ثمّ نظر إلى النحو على أنه العلم المعنيّ بالتراكيب والنظم . ومن المصطلحات التي ذكرها ابن خلدون وهو بصدد الحديث عن النحو نجد ثلاثة مصطلحات، وهي: علم النحو، وعلم العربية، وصناعة العربية . وهي مصطلحات معروفة في الدرس العربي ، واستقر أمرها قبل ابن خلدون ، وقد أبقى عليه ابن خلدون فاختاره ليجعله رأسا على ما عرض له في علوم اللسان، ما دام أنه لا زال يؤدي وظيفته على أكمل وجه ، غير أن ما يهم في هذه المصطلحات هو استبدال "علم" بكلمة " صناعة" ذلك أن كلمة "صناعة" شائعة عند ابن خلدون يستخدمها مفردة وجمعا، ولا تكاد تغادر مصطلحاته المتواجدة في المقدّمة ، حيث يقول : "وقد كادتْ هذهِ الصنَّاعةُ تُؤْذِنُ بالذهاب لِما رَأيناَ من النَّقصِ في سائرِ العُلومِ و الصَّنائعِ بتناَقُضِ العُمران ووصلَ إلينا بالمغربِ لهذهِ العُصورِ ديوانٌ من مِصرَ مَنسوبٌ إلى جَمَالِ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ من عُلمائها استَوفَي فيه أحكامَ الإعراب مُجملةً و مُفصَّلةً وتكلَّم على الحُروفِ و المُفرداتِ والجُملِ و حذفَ ما في الصنّاعةِ منَ المُتَكررِ في أكثرِ أبوابها وسمَّاهُ بالمُغنِي في الإعرابِ و أشارَ إلى نُكَتِ إعرابِ القرآنِ كُلّها و ضبَطَها بأبوابٍ و فصولٍ و قواعدَ انْتَظمَ سائرُهاَ فَوقفنا منه على علمٍ جمٍّ يشهدُ بعُلُوّ قدرهِ في هذه الصنِّاعةِ و وفورِ بضاعتهِ منها و كأنَّه ينْحُو في طريقتهِ منحَاةَ أهلِ المَوْصِلِ الّذين اقتفوا أثر ابن جنّيٍ واتّبعوا مصطلحَ تعليميهِ فأتى من ذلك بشيء عجيبٍ دالٍ على قوَّةِ ملكتِهِ واطّلاعهِ" [1].

إن سياق استعمال ابن خلدون لمصطلح "الصناعة" في هذه الفقرة يكشف بأنه لم يستعمل حدا واحدا لعلم النحو، فهو أيضا "صناعة" تتطلّب الدقّة في " قوانين لتلكَ الملكة مُطَّرِدَةً شِبه الكُلِّيَّات و القواعد و يقيسُون عليها سائر أنواع الكلام و يُلْحقون الأشباه بالأشباه"[2] .

لهذا حرص على استخدام الألفاظ الآتية: القوانين، يقاس عليها، المقاييس. ويشغله

1- م س، ص: 546-547 .

2 - م ن ، ص: 546

القانون والمقياس الذي يفسر ظاهرة اللسان، وحركة الإنسان في السياسة ،والاجتماع، والعمران.

غير أن ابن خلدون لم يستعمل في حديثه عن النحو مصطلح إعراب لأنه مصطلح يرتبط بالنحو، وهو مفهوم ضيّق لأنه مرتبط بأواخر الكلم فحسب ، " وليس هو وحده المسؤول عن ذلك، إذ أن هناك قرائن أخرى عديدة تسهم بأدوار لا تقل شأنا عن الدور الذي يقوم به الإعراب، منها قرينة الرتبة، وقرينة التضام وغيرها من القرائن [1]. وهذا ما قصد إليه ابن خلدون من مصطلح الصناعة في النحو بقوله " فاسْتَنْبَطُوا من مَجَارِي كلامهم قوانين لتلكَ الملكة مُطَّرِدَةً شِبه الكُلِّيَّات و القواعد و يقيسُون عليها سائر أنواع الكلام و يُلْحقون الأشباه بالأشباه مثل أنَّ الفاعلَ مرفوعٌ و المفعولَ منصوبٌ و المبتدأَ مرفوعٌ ثمَّ رَأوْا تَغيُّرَ الدَّلالةِ بتغيُّر حركاتِ هذه الكلمات فاصطلحُوا على تسميته إعراباً و تَسمِيةِ الموجِبِ لذلك التغيُّرِ عاملاً أو أمثالِ ذلك وصارت كلُّها اصطلاحاتٍ خاصَّةً بهم فقيَّدُوهَا بالكتابِ وجَعلُوها صناعةً لهُمْ مخصُوصةً واصطلحوا على تسمِيتهَا بعلمِ" النَّحوِ" . [2]

ولم يُشر ابن خلدون إلى علم الصرف لأنه نشأ مندمجا مع "النحو" ويتبادل معه المواقع لهذا جمع سيبويه(ت 180 هـ) في كتابه بين العلمين ، وكذلك فعل النحويون المتقدّمون حتى وضع "المازني" (ت 249 هـ) كتابا خصّه بتأليف مستقل، ومن بعده توالت المؤلفات المنفصلة فوضع ابن عصفور الإشبيلي (ت 669 هـ) الممتع في التصريف. على الرغم من أن العرف، لدى المتأخرين أيضا ، لم يجعل الصرف قسما بمعزل عن شقه الثاني النحو. وربما أن موضوع المقدّمة لما امتازت به من تعميم عام،

---

1 - حسام البهنساوي: التراث اللغوي العربي، علم اللغة الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 2004 ، ص: 55

2- ابن خلدون :م س، ص: 546 .

وربما يكون علم الصرف عنده يصنّف ضمن علم اللغة لهذا نجده يتحدّث عن الاشتقاق ومعرفة الأصول من الزوائد في علم اللغة.

2- علم اللغة :

اتسع مفهوم ابن خلدون في علم اللغة هذه الميزة الإنسانية ووسيلة التعبير والتواصل ليتناول معنى المفردة وترتيبها ، ومسألة ضبط الخطأ في فهم المعاني الوضعية ، واحتاج الأمر عنده لمعاجم لضبط المداخل والتعريفات ، وحصر مركبات حرف المعجم ، وامتد فيهِ للتَّعِرُّضُ للاشتقاقاتِ الكلم وتصاريفِهاَ ، واتّسع علم اللغة عنده إلى فقه اللغة ، ومدى انعكاسها للواقع الاجتماعي [1].

3- علم البيان : وهو معرفة أحوال الهيئات المختلفة للفاعلين أو المتخاطبين والسياقات، والتقديم والتأخير ، وما استعمل في غير ما وضع له كالاستعارة ، والكناية وما ضارعها مثل لها ابن خلدون بنماذج تطبيقية أبرزت أن " هذا العلم حادثٌ في الملّةِ بعد علم العربيَّة و اللُّغةِ و هو من العلُومِ اللّسانيَّةِ لأنهُ مُتعلِّقٌ بالألفاظِ وما تفيدهُ و ما يقصدُ بهَا الدَّلالةُ عليهِ من المعاني و ذلكَ أنَّ الأمورَ التيِ يقصدُ المتكلِّمُ بها إفادةَ السَّامعِ من كلامهِ هي إمَّا تصوُّرُ مُفرداتٍ تُسندُ و يُسنَدُ إليها و يُفضي بعضُها إلى بعضٍ و الدَّالَّةُ على هذه هي المفرداتُ من الاسماءِ و الأفعالِ و الحروفِ و إمَّا تمييزُ المسنداتِ من المسندِ إليها و الأزمنةِ و يدُّلُ عليها بتغيُّرِ الحركاتِ من الإعرابِ و أبنيةِ الكلماتِ و هذه كُلها هي صناعةُ

النَّحوِ ويبقي من الأُمور المُكتنفةِ بالواقعاتِ و المحتاجةِ للدَّلالةِ أحوَالُ المُتخاطبينَ أو

1- ويظهر في التأثير الذي أشار إليه ابن خلدون " بملابسةِ العَجم و مُخالطَتهِم حتَّى تأدَّي الفسادُ إلى موضُوعاتِ الألفاظِ فاستُعمِلَ كثيرٌ من كلامِ العربِ في غير موضُوعهِ عندهُم ميْلاً مع هجْنَةِ المُسْتعْربينَ في اصطلاحاتهِم المُخالِفةِ لصريحِ العربيّةِ فاحتِيجَ إلى حفظِ الموضُوعاتِ اللّغويَّةِ بالكتاب و التَّدوينِ الدُّروسِ ومَا ينشأُ عنه من الجَهلِ بالقرآنِ و الحديثِ فشمَّر كثيرٌ من أئمة اللّسانِ لذلكَ و أمْلَوا فيه الدَّواوينَ وكانَ سابقُ الحَلْبَةِ في ذلك الخَلِيلَ بْنَ أَحمَدَ الفَرَاهِيديَّ ألَّفَ فيها كتابَ العينِ فحصرَ فيهِ مُرَكَّبَاتِ حُروفِ المعْجَم كُلَّها " . - م س ، ص: 548.

الفاعلينَ و ما يقتضيهِ حالُ الفعلِ وهو محتاجٌ إلى الدّلالةِ عليهِ لأنّهُ من تمامِ الإفادةِ و إذا حصَلتْ للمُتكلّم فقد بلغَ غايةَ الإفادةِ في كلامهِ وإذَا لم يَشتَملْ على شيءٍ منها فليسَ من جنسِ كلامِ العربِ فإنَّ كلامَهُمْ واسعٌ و لكلِ مقامٍ عندهم مقالٌ يُختصُّ بهِ بعدَ كَمالِ الإعرابِ و الإبانةِ [1].

والتمس لها وجوه الفروق بين استعمال واستعمال، وتركيب و تركيب، وفوائد هذا الاستعمال ، وأضرب خبر الكلام المتوزعة بين ابتدائي ، وطلبي ، وإنكاري ، وأغراض الخبر والإنشاء ، ومحل الجمل من الإعراب ، لذلك يقول " ألا ترىَ أنَّ قولهُمْ زَيْدٌ جاءَني مُغايرةٌ لقولهُمْ جاءَني زَيدٌ منْ قبلِ أنَّ المُتَقَدّمَ منهُما هُوَ الأهمُّ عند المتكلّمِ فمن قال جاءَني زَيدٌ أفاد أن اهتمامهُ بالمجيءِ الشَّخصِ المُسندِ إليهِ و من قالَ زَيدٌ جاءَني أفادَ أنَّ اهتمامهُ بالشَّخص قبل المجيءِ المسندِ وكذا التَّعبيرُ عن أَجزاءِ الجُملةِ بِما يُناسِبُ المقامَ من مَوصُولٍ أوْ مُبهمٍ أو معرفةٍ وكذاَ تأكيدُ الإسنادِ على الجُملةِ كَقَولِهمْ زَيدٌ قَائمٌ وَ إنَّ زَيداً قائمٌ وَ إنَّ زَيداً لقائمٌ مُتغايرةٌ كُلها في الدّلالةِ و إن استوَت من طريقِ الإعرابِ فإنَّ الأوَّل العاري عن التَّأكيدِ إنَّما يُفِيدُ الخَالي الذِّهن والثَّانيَ المُؤكَّدَ بأَنَّ يفيدُ المُتَردّدَ و الثَّالثَ يفيدُ المُنكِرَ فَهيَ مُختَلفةٌ وكذلكَ تقولُ جَاءنِي الرَّجلُ ثُمَّ تقولُ مَكانَهُ بِعينه جاءَني رَجُلٌ إذا قصدتَ بذلك التّنكيرِ تَعظيمَهُ و أنَّهُ رَجُلٌ لا يُعادلُهُ أحدٌ منَ الرّجالِ ثُمَّ الجُملةُ الإسناديّةُ تكونُ خبريَّةً و هي الّتي لهَا خَارجٌ تُطَابقهُ أَو لاَ و إنشائيَّةً وهي التي لا خارجَ لها . كالطَّلبِ و أنواعِهِ ثُمَّ قد يتعيَّنُ تركُ العاطفِ بينَ الجُملتينِ إذاَ كانَ للثَّانية محلٌّ منَ الإعرابِ فيُشرَكُ بذلكَ منزلةُ التَّابعِ المفردِ نعتاً و توكيداً وبدلاً بلا عطف أو يتعيَّنُ العطفُ إذاَ لم يكُن للثَّانيةِ محلٌّ من الإعرابِ "[2].

وهي مباحث تكشف أصالة ابتكار ابن خلدون في الدرس العربي، وتُعطي له الأحقية في

---

1 - م س، ص:550 .

2- م ن ، ص: 550 ، 551 .

أن تتجاوز مباحثه مع أحْدث ما تناولته الدراسات الأسلوبية المعاصرة في تتبعه للتقديم والتأخير، ومثل هذه السياقات لها اعتبارات ترتبط فيها بالمتكلّم، واعتبارات ترتبط فيها بالمتلقّي واعتبارات تتعلّق بطبيعة الصيّاغة ذاتها. أما الاعتبارات التي تتصل بالمتلقي فتتمثل في سياقات الأغراض.

كما يعرض إلى التركيب وما يقتضيه من زيادة اللفظ على المعنى لفائدة وهو ما يسمى بالإطناب، أو يعرض إلى أهم خاصية من خصائص العربية وهو ما يسمى بالإيجاز، لذلك يقول: "ثمَّ يقتضي المحلُّ الإطنابَ و الإيجازَ فيُوردُ الكلامُ عَليهما ثمَّ قد يُدلُّ باللّفظِ ولا يُرادُ مَنطُوقُهُ وَ يُرادُ لازمُهُ إن كان مُفردًا كما تقولُ زَيدٌ أَسَدٌ فلا تُريدُ حقيقةَ الأَسدِ المنطُوقةَ وإنَّما تُريد شجاعتهُ اللّازمةَ و تُسندهاَ إلى زيدٍ و تُسمَّي هذهِ استعارةً"[1].

كما يعرض إلى مباحث علم البيان في توافقه مع دروس علم اللغة في مباحث الدلالة فبنى ابن خلدون منظوره لهذا العلم انطلاقا من باب اصطلاحه على تسمية البحث البلاغي كله "بعلم البيان" من باب تغليب صنف من أصنافه على باقي الأصناف. وإدراجه لعلم البيان من ضمن العلوم اللسانية، حيث يقول: " وقد تُريدُ باللّفظِ المُركَّبِ الدَّلالةِ على ملزُمهِ كما تقولُ زَيدٌ كثيرُ الرَّمادِ و تُريدُ ما لزِمَ ذلكَ عنهُ منَ الجُودِ و قَرىَ الضَّيف لأنَّ كَثرةَ الرَّمادِ نَاشِئةٌ عنهُما فهِي دالةٌ عليهما وهذه كلُّها دلالةٌ زائدةٌ على دلالةِ الألفاظِ من المفردِ و المُركَّبِ و إنَّما هيَ هَيئاتٌ و أحوالُ الواقعاتِ جُعلت للدَّلالةِ عليها أحوالٌ و هيئَاتٌ في الألفاظِ كلٌّ بحسبِ ما يقتضيهِ مقامهُ فاشْتملَ هذا العلمُ المُسمَّي بالبيَانِ على البحثِ عن هذهِ الدَّلالةِ التي للهيئاتِ و الأحوالِ و المقاماتِ و جُعلَ على ثلاثةِ أصناف " [2] .

ـ الصنف الأول: الذي يبحث فيه عن الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال، ويسمى علم البلاغة.

---

1 - م س، ص: 551.

2 - م ن ، ص:551 .

ـ الصنف الثاني: الذي يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية كما قلناه ، ويسمى علم البيان.

ـ الصنف الثالث: وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إمَّا بسجعٍ يفْصِلُهُ أو تجنيسٍ يُشابهُ بينَ ألفاظهِ أو ترصيعٍ يقطعُ أو توريةٍ عن المعنى المقصُودِ بإيهامِ معنىً أخفى منهُ لاشتراكِ اللّفظِ بينهما و أمثالِ ذلكَ و يسمَّى عندهم علمَ البديعِ .

ومن ثم فهو يقصر علم البيان على الاستعارة والكناية فقط فيقول : "و أُطلقَ على الأصنافِ الثلاثةِ عندَ المحدثينَ اسمُ البيانِ و هوَ اسمُ الصنفُ الثَّاني لأنَّ الأقدمينَ أوَّلُ منْ تكلّموا فيه ثُمَّ تلاحقتْ مسائِلُ الفنِّ واحدةً بعدَ أُخرَى فيها جَعْفَرُ بنُ يَحْيَ ،و الجاحظُ ، و قُدامةُ و أمثالُهُم إملاءات غيرَ وافيةٍ ثمَّ لم تزَلْ مسائلُ الفنِّ تكمُلُ شيئاً فشيئاً إلى أنْ محَّصَ السَّكاكيُّ زُبدَتهُ وهذَّبَ مسائلَهُ ورَتَّبَ أبوابهُ علىَ نحوِ مَا وألَّفَ كتابَهُ المسَّمىَ بالمفتاحِ و في النَّحو و التَّصريفِ و البيانِ فجعلَ هذا الفنَّ من بعضِ أجزائهِ و أخذهُ المتأخرونَ من كتابِهِ ولخّصُوا منهُ أُمَّهاتٍ هي المتداوَلَةُ لهذاَ العهدِ كما فَعلهُ السَّكاكيُّ في كتابِ التّبيانِ و ابنُ مالكٍ في كتابِ المصباحِ و جلالُ الدّينِ القزْوينيُّ في كتابِ الإيضاحِ و التَّلخيصِ و هو أصغرُ حجماً منَ الإيضاحِ " [1] .

و من ثم جعل "علم البلاغة" شاملا لكل من "علم البيان" و"علم البديع" و"علم المعاني" أي البحث البلاغي ككل ، حسب التطور الحديث لهذا المفهوم، صنفا أو جزءا من أصناف "علم البيان". وإدراكه للعلاقة القائمة بين النحو والبلاغة. لأن الفائدة تظهر في البنية الإبلاغية.

كما نجد ابن خلدون لا يغفل عملية ربط فنون العلوم اللسانية والولوع بتزين الألفاظ بمسألة العمران ، وكل إقليم وما توفر له من ملامح المناسبة لعلم معيّن فكان أهل المشرق على هذا الفن أقوم من المغاربة لطابعه الكمالي ، حيث يقول: "و العنايةُ بهِ

---

1 - م س ، ص: 551 ، 552 .

لهذا العهدَ عندَ أهلِ المشرقِ في الشَّرحِ و التَّعليمِ منهُ أكثرُ من غيرهِ و بالجُملةِ فالمشارقةُ على هذَا الفنِّ أقومُ من المغاربةِ و سببُهُ و الله أعلمُ أنّهُ كماليٌّ في العلومِ اللّسانيةِ و الصَّنائعُ الكماليَّةُ تُوجدُ في العمرانِ و المشرِقُ أوفرُ عمراناً و المغربُ كما ذكرناهُ "[1].

4- علم الأدب :

إنه العلم الذي لا موضوع له ، وهو ثمرة الإفادة في فني المنظوم ، والمنثور، ومجالاته تتسع لتأخذ من كل علم بطرف ، قال عنه ابن خلدون : "هذا العلمُ لا موضُوعَ لهُ يُنظَرُ في إثباتِ عوارضهِ أو نفيهَا وإنَّما المقصودُ منهُ عندَ أهل اللِّسانِ ثمرتُهُ وهيَ الإجادةُ في فنيَّ المنظومِ و المنثورِ على أساليبِ العربِ ومناحِيهم فيجمعونَ لذلكَ من كلام العربِ ما عساهُ تحصُلُ بهِ الكلمةُ من شعرٍ عاليِ الطَّبقةِ وسجعٍ مُتساو في الإجادةِ ومسائلَ من اللّغةِ و النَّحوِ مبثُوثةٍ أثناءَ ذلكَ مّتفرّقةٍ يستَقري منهاَ النَّاظرُ في الغالبِ مُعظَمُ قوانينِ العربيَّةِ مع ذكرِ بعضٍ من أيَّامِ العربِ يفهمُ به ما يقعُ في أشعارهِم منها و كذلكَ ذكرُ المهمِ منَ الأنسابِ الشَّهيرةِ و الأخبارِ العامَّةِ و المقصُودُ بذلكَ كُلّه أن لا يخَفيَ على النَّاظرِ فيهِ ، شيءٌ من كلام العربِ و أساليبهم و منَاحيِ بلاغتِهم إذ تصفَّحَهُ لأنَّه لا تَحصُلُ الملكةُ من حفظِهِ إلاَّ بعدَ فهمهِ فيحتاجُ إلى تقديمِ جميعِ ما يتوقَّفُ عليهِ فهمهُ" [2].

وحدّ هذا الفن " هو حفظُ أشعارِ العربِ وأخبارهاَ و الأخذُ منْ كلّ علمٍ بطرفْ يريدُونَ من علومِ اللّسانِ أو العُلومِ الشَّرعيَّةِ من حيثُ مُتُونُها فقط وهي القرآنُ والحديثُ إذ لا مدخَلَ لغيرِ ذلكَ منَ العُلومِ في كلامِ العربِ إلاَّ ما ذهبَ إليهِ المتأخِّرونَ عندَ كَلفِهم بصناعةِ البديعِ منَ التَّوريةِ في أشْعارِهمْ و ترسُّلِهم بالاصطلاحاتِ العلميَّةِ فاحتاجَ صاحبُ هذا الفنِّ حِينئذٍ إلى معرفةِ اصطلاحاتِ العلُو مِ ليكُونَ قائماً على فهمِهَا و سمِعنَا من شيُوخِنا في مجالسِ

---

1 - م س، ص: 552 .

2 - م ن ، ص: 553 .

التَّعليم أنَّ أُصُولَ هذا الفنّ"[1]، وأركانه أمهات كتب قصرها ابن خلدون على "أربَعةُ دواوِينَ أدبُ الكُتَّابِ لابن قُتَيبةَ، و كتَابُ الكاملِ للمبرّدِ، و كِتابُ البيانِ و التَّبينِ للجاحظِ، و كتابُ النَّوادرِ لأَبي عليّ القاليِ البَغداديّ" وما جاء بعدها إنما اقتصر على تناقل الموروث ، فيقول :" وَما سِوَى هذهِ الأربعةِ فَتبعٌ لهَا و فُروعٌ عنهَا و كُتُبُ المُحدثِينَ في ذلكَ كثيرٌ و كانَ الغِناءُ في الصَّدرِ الأَوَّلِ من أجزاءِ هذا الفنّ لماَ هوَ تابعٌ للشّعرِ إذ الغناءُ إنَّما هو تلحينُهُ وكانَ الكُتَّابُ و الفُضلاءُ منَ الخواصِ في الدَّولةِ العباسيَّةِ يأخذُنَ أنفُسَهُم الشّعرِ و فنُونِه فلم يكُن انتحالُهُ قادِحا في العدالةِ و المرُوءةِ و قد ألَّفَ القاضي أبو الفرجِ الأصبهانيُّ كتابَهُ في الأغَاني جَمعَ فيهِ أخبارَ العربِ و أشعارَهُم و أنسابَهُم و أيَّامَهُم و دولَهُم و جعَل مبناهُ على الغناءِ في المائةِ صوتاً التي اختارهاَ المغنّونَ للرشِّيدِ فاستوعبَ فيهِ ذلكَ أتمَّ استيعابِ و أوفَاهُ وَ لَعَمْرِي إنَّهُ دِيوانُ العربِ و جامعُ أشتاتِ المحاسنِ التي سَلفتْ لهُم في كلِّ فنٍّ من فنونِ الشَّعرِ و التَّأريخِ و الغناء و سائرِ الأحوالِ ولا يُعدَلُ بهِ كتابٌ في ذلكَ فيمَا نعلَمُهُ و هُوَ الغايَةُ التي يسمُو إليها الأديبُ و يقِفُ عندهاَ و أَنَّى لهُ بهاَ ونحنُ الآنَ نرجِعُ بالتَّحقيقِ على الإجمالِ فيماَ تكَلَّمنَا عليهِ من عُلُومِ اللِّسانِ "[2] .

ومن ثم يظهر الأدب عند ابن خلدون في اللغة الراقية، جامعُ لأشتاتِ المحاسنِ التي سَلفتْ لهُم في كلِّ فنٍّ من فنونِ الشَّعرِ و التَّأريخِ و الغناء و سائرِ الأحوالِ هُوَ الغايَةُ التي يسمُو إليها الأديبُ ، ومجالاته هي الثقافة الجامعة والأخذ من كل علم بطرف.

ومن هنا يكون مفهوم الأدب عند ابن خلدون هو ما أخضعه لثلاثية النحو، واللغة، والبيان وعلاقتها ببعضها البعض من خلال تقرير القواعد والقوانين التي تحكم كل من علوم اللسان على حدة. وتقرير القوانين المشتركة لهذه العلوم في تشابكها منتجة الأسلوب الراقي أو ما اصطلح عليه بالأدب. وبهذا يربط ابن خلدون مفهوم الأسلوب

---

1 - م س، ص: 554 .

2 - م ن ، ص : 553-554.

بالنموذج النحوي الذي قدّمه عبد القاهر الجرجاني بما في النحو من إمكانات تركيبية ، ووظّفها بشكل مباشر في محاولة خلق نظرية لغوية في فهم الأسلوب، من حيثُ كان النحو خالقاً للنَّسق التعبيري الذي يحقّق المزية والفضيلة بجانب الصحة والسلامة[1]. ومثله ذهب إليه تشومسكي ؛ إذ عدّ الأسلوب بمثابة اختيار للإمكانات التي توفرها طرائق الصياغة اللسانية [2].

وبهذا ربط ابن خلدون بين الفن ، أو النوع الأدبيّ ، والأسلوب أو الأساليب، ملاحظا الفروقَ اللفظية والمعنوية بين المنظوم والمنثور، ثم رَبَط هذه الفروق بخصائصَ تعود إلى علوم النحو، والصرف، والعروض، والبلاغة. كما ربط الأسلوب بعنصرين مهمَّيْن : المخاطِب والمخاطَب، ومقتضى الحال الذي يتصل بهما: من إطناب أو إيجاز أو إثبات أو تصريح أو إشارة وكناية، واستعارة، وكلّها أمور تختصُّ بطريقة أداء المعنى على حسب مقتضى الحال؛ وبهذا أكد صلة الأسلوب بالسيّاق اللغوي، وما يرتبط به من عُنصري المتكلِّم، والمتكلَّم[3].

<u>رابعا ـ العلاقة القائمة بين الأركان المؤسسة له:</u>

ويطرح البحث في علوم اللسان عند ابن خلدون العلاقة القائمة بين الأركان المؤسسة له من نحو، وبيان ، ولغة، وأدب من جهة ، ومدى ارتباط هذا اللسان بالأمة، لأن "اللسان، اللغة" ، بصفة عامة، ظاهرة مرتبطة بالجماعة لا بالفرد.

لهذا أكّد ابن خلدون على ضرورة التمكن من القواعد النحوية، ودورها في تمكين الفرد من لغته، بحيث نجده قد عرّف اللغة في ركن النحو، واستنتج مفهوم النحو من خلال متابعاته لأسباب نشوئه تاريخيا على يد أبي الأسود الدؤلي، جاعلا من علم البيان مقصدا

---

1 ـ محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية، ناشرون، ط 1 ،1994 ، ص: 2.

2 ـ محمد عبد المطلب : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ناشرون، ط 1 ، 1995 ، ص: 9 .

3 ـ محمد عبد المطلب : م س ، ص: 36 ، 37 .

للإفادة "هذا العلم حادثٌ في الملّةِ بعد علم العربيَّة و اللُّغةِ و هو من العلُومِ اللّسانيَّةِ لأنهُ مُتعلِّقٌ بالألفاظِ وما تفيدهُ و ما يقصدُ بهَا الدَّلالةُ عليهِ من المعاني و ذلكَ أنَّ الأمورَ التيِ يقصدُ المتكلّمُ بها إفادةَ السَّامعِ من كلامهِ هي إمَّا تصوُّرُ مُفرداتُ تُسندُ و يُسنَدُ إليها و يُفضي بعضُها إلى بعضٍ و الدَّالَّةُ على هذه هي المفرداتُ من الاسماءِ و الأفعالِ و الحروفِ و إمَّا تمييزُ المسنداتِ من المسندِ إليها و الأزمنةِ و يدُّلُ عليها بتغيُّرِ الحركاتِ من الإعرابِ و أبنيةِ الكلماتِ و هذه كُلها هي صناعةُ النَّحوِ ويبقي من الأُمور المُكتنفةِ بالواقعاتِ و المحتاجةِ للدَّلالةِ أحوَالُ المُتخاطبينَ أو الفاعلينَ و ما يقتضيهِ حالُ الفعلِ وهو محتاجٌ إلى الدّلالةِ عليهِ لأنّهُ من تمامِ الإفادةِ و إذا حصَلتْ للمُتَكلّم فقد بلغَ غايةَ الإفادةِ في كلامهِ وإذَا لم يَشتَملْ على شيءٍ منها فليسَ من جنسِ كلامِ العربِ فإنَّ كلامَهُمْ واسعٌ و لكلِ مقامٍ عندهم مقالٌ يُختصُّ بهِ بعدَ كَمالِ الإعرابِ و الإبانةِ"[1].

وبهذا تحسس ابن خلدون العلاقة الرابطة بين أركان علوم اللسان العربي والمتمثلة في مبدأ الإفادة ومقصود الكلام، وتحقيق غرض المتكلّم.

أ) ـ العلاقة الجدلية بين علمي النحو واللغة:

يأتي ترتيب ابن خلدون لأركان علوم اللسان حسب ما ورد في المقدّمة إلى : النحو، اللغة، البيان، الأدب.

وترتيب ابن خلدون على هذه الطريقة هل هو ترتيب عضوي تسلسلي أم أنه ترتيب عفوي ؟ وتركيزه على علم النحو، وتقديمه على باقي الأركان يمكن أن يكون النحو علما ابستمولوجيا، أي نضج واستقام أمره. لهذا عدّ اليوم موضع صراع. والأركان الأخرى علوما فرعية تفرعت عنه أي أن ترتيب ابن خلدون لهذه العلوم جاء من باب تفرّع الفرع عن الأصل نحو تفرّع الصرف عن النحو، وقد نشأ مندمجان قبل أن ينفصلا على يد المازني، وتفرّع علم البلاغة عن علم اللغة.

---

1 ـ ابن خلدون: م س ، ص:550 .

والمنظور النظري يظهر في تأثير الشريعة في ترتيب العلوم. فالقرآن هو الأصل وما تفرّع عنها من علوم .

أما مبدأ أسبقية علم النحو على العلوم الأخرى فقد حدّدها في قوله " ... والذي يتحصّل أن الأهم المقدّم منها هو النحو إذ به نتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة" [1]. قال ابن جني عن النحو : "هو انتحاء سمت كلام العرب" [2]. بواسطته تتبيّن المقاصد، وبدونه يختل التفاهم.

ومن ثم يحتل النحو مكانة عالية في تحديد المعنى عند ابن خلدون، وهو ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني، كما مثّل محور الصراع في العصر الحديث (3).

وهذا ما يؤكد بأن اللغة لا تستغني عن النظام النحوي الذي يوجد شبحه حتى ضمن المستويات الأخرى، فالفعل دَرَسَ في العربية، دلالته وهو مفخم غير دلالته وهو مرقق، إذ شتان ما بين درس التلميذ الكتاب، ودرس، ومدرسة، ومدرّس ، ودرس المنزلُ أو الشيء، ودرس الفلاح الحِنطة ونحوها دِراسا، لكن الوظيفة الفونولوجية ما بين الكلمتين لا تستغني في كل حالة عن سياق نحوي ضمني ما، أما إذا عبرنا عنه بتعبير "السانتكس" فهذا السياق يصبح أكثر وضوحا، ما دام اللسانيون يرفضون فطم النحو عن الصرف اللذين تشملهما كلمة "السانتاكس " معا [4].

وتأتي اللغة عند ابن خلدون حاملة فائدتها في ذاتها كمبدأ قائم للإفادة لهذا يقول عنها:

---

1 - م س ، ص:545.

2 - ابن جني :م س ، ج1،ص: 119.

3 - حيث يقول:" إذ كان قد عُلم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرجَ لها، وأنه هو المعيار الذي لا يتبين نُقصانُ كلام ورُجحانه حتى يُعرضَ عليه". - الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط3 ، 1992 ، ص: 28 .

4 - عبد الجليل مرتاض: في رحاب اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، ط 2 ، 2007 ، ص: 151 .

اعلم أنّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده[1] ، معللا قوله " وهي فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان[2].

والمتأمل في النص الخلدوني يجد جملة من المصطلحات ضاربة فيه، هي: القصد، الفائدة، الملكة، الفعل اللساني. وهذا ما نجده في الدراسات الحديثة.

وتبرز الإفادة في أهمية التبليغ والتواصل وهذا ما تقول به الدراسات القديمة والحديثة. يقول ابن جني حدّ اللغة أصوات. ويقول أندري مارتيني هي وسيلة للتواصل.

وإن إدراك ابن خلدون لمجال النحو المتمثل في الجملة، وذلك في حصره للنحو في الكلام. وبهذا تحدث عن اللغة بصفة عامة، وعن النحو كعلم حافظ لهذه اللغة المتحدث بها.

وبهذا يحقق فكرة التبليغ، والتواصل، وهو ما يقرّه الدرس الحديث. ويلتقي مع علماء اللغة في اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية ضرورية لقيام المجتمع، ظاهرة لغوية لسانية. لذلك قال ديكرو: " إذا أردت اللسانيات أن تشرح معنى الملفوظات ، فعليها ألا تتجاهل التلفظ. والمقصود بالتلفظ هو الواقعة التاريخية التي تنشأ عبر الملفوظ والتلفظ " [3].

إنها نظرة كليّة أدركها ابن خلدون وجمع فيها بين بين علوم اللسان والأدب . وهو الذي تفترضه لسانيات التلفظ أنّ مجموعة من الأشكال النحوية ومن مفردات المعجم ومن الصِّيغ ومن التراكيب؛ سمتها الاعتياديةُ أنّنا باستعمالها نُنشئ أو نُسهم في إنشاء علاقات مخصوصة بين المتخاطبين[4] .

---

1 - ابن خلدون : م س ، ص:546.

2- م ن ، ص:546.

3 - صابر الحباشة: لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار ، سورية، ط1، 2010، ص: 26 .

4 - م ن ، ص: 24 .

وإذا كان الأوائل من أصحاب الطبقات قد ميّزوا بين المشتغلين بالنحو أو علم العربية من جهة ، والمشتغلين باللغة من جهة أخرى، فعدّ سيبويه والمبرّد من النحاة والأصمعي وأقرانه من اللغويين [1].

إن الوقوف مع التعريف الذي أورده ابن خلدون لعلم اللغة ، والمتمثل في قوله " هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية "[2]. فقد يهدف إلى البحث في المفردات اللغوية ، لأن قوله "الموضوعات اللغوية" يعني بها جمع المفردات اللغوية من حيث هي المادة الأولية للكلام، وهو علم اللغة أو متن اللغة، وهو ما يقابله في الدرس اللغوي "علم المفردات" وينضوي تحت ما يسمى باللسانيات التطبيقية وفرع من فروع علم اللغة التطبيقي[3] .

ومن ثم فإن علم اللغة حسب ابن خلدون هو العلم الذي يعالج مادة اللسان الإفرادية، أي يعالج المفردات اللغوية ، أما علم النحو فهو العلم الذي يعالج أواخر هذه المفردات اللغوية، من حيث تغيّراتها ، وعليه فإن تمييز أصحاب الطبقات إنّما جاء من باب ملاحظاتهم للذين اشتغلوا بالمفردات جمعاً وتأليفاً [4].

وبهذا ندرك أن مفهوم علم اللغة عند ابن خلدون لا يتوقف عند معنى المفردة وترتيبها، وعند مسألة الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب، وإنما يتعدّاه إلى مفهوم أوسع هو "فقه اللغة" ، والفقه ـ حسب ابن خلدون ـ هو العلم الذي جاء للتفقه في المفردة أو البحث في معانيها وتفرعاتها واشتقاقاتها ، لذلك يقول: ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة

---

1 ـ محمود فهمي حجازي، م س ، ص: 59 .

2 ـ ابن خلدون: م س ، ص: 548.

3ـ علي القاسمي :علم اللغة، وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، 1991 ، ص: 7.

4 ـ محمود فهمي حجازي، م س ، ص: 65 .

ألفاظا أخرى ، بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض [1].

ب) ـ علم البيان وعلاقته بالنحو واللغة:

إن اللغة بصفة عامة تحكمها علاقات تركيبية وبيانية، بحيث أن المسألة البيانية تتعلق بذلك المعيار الذي نقيس به الأسلوب لهذا انطلق ابن خلدون في دراسته لعلوم اللسان من النحو لأنه هو الذي يسيطر على الحدث اللغوي كلّه، وهو الذي يصنع الإعجاز ، وتتفاوت فيه الأفهام لأن الصنائع الكمالية لا تتواجد إلا بتوفر العمران لذلك يقول: "فالمشارقةُ على هذَا الفنِّ أقومُ من المغاربةِ و سببُهُ و الله أعلمُ أنّهُ كماليٌ في العلومِ اللّسانيةِ و الصَّنائعُ الكماليَّةُ تُوجدُ في العمرانِ و المشرِقُ أوفرُ عمراناً و المغربُ كما ذكرناهُ أو نقولُ لعنايةِ العجمِ وهُمْ معظمُ أهل المشرقِ كتفسيرِ الزَّمخشريَّ وهوَ كلُّهُ مَبْنيٌّ على هذا الفنِّ و هو أصلهُ و إنَّما اختُصَّ بأهلِ المغربِ منْ أصنافهِ علمُ البديعِ خاصَّةً وجعلوهُ من جملةِ عُلُومِ الأدبِ الشِّعريَّةِ و فَرَّعوا لهُ ألقاباً و عدَّدوا أبواباً و نوَّعوا أنواعاً و زعموا أنَّهم أحصوها من لسان العرب و إنَّما حملهُمْ على ذلك الوَلوعُ بتزينِ الألفاظِ و أنَّ علمَ البديعِ سهلُ المأخذِ و صَعُبَتْ عليهم مآخذُ البلاغةِ و البيانِ لدِقَّةِ أنظارِهمَا و غموضُ معانيهمَا فتَجافَوا عنهُما و ممَّن ألَّفَ في البديعِ منْ أهلِ أفريقيَّةَ ابنُ رَشِيقٍ و كتابُ العُمدةِ له مشهورٌ وجرىَ كثيرٌ من أهل أقريقيَّة و الأندلُسِ على منحاه هُو أعلم أنَّ ثمرةَ هذا الفنِّ إنَّما هيَ في فهمِ الإعجازِ من القرآنِ لأنَّ إعجازهُ في وفاءِ الدَّلالةِ منهُ بجميعِ مقتضياتِ الأحوالِ منطوقةٌ و مفهُومةٌ وهي أعلَى مَراتبِ الكلامِ مع الكَمالِ فيما يُختصُّ بالألفاظِ في انتقائهَا و جودةِ رَصفِهاَ و تركِيبهاَ وهذاَ هو الإعجازُ الذي تُقصِّرُ الأفهامُ عن إدراكه " [2].

ومن ثم نجد ابن خلدون يقرّ بمسألة التداخل القائمة بين علمي النحو ، واللغة، وعلاقتهما بعلمي البيان ، وهي صورة للدرس العربي كانت قائمة ولا تزال . وهو ما

---

1 ـ انظر ، ابن خلدون: م س، ص: 549.

2 ـ م ن : ص: 552 .

يقول به "جون ميشال آدام " انطلاقا من فكرة : "إن اللسانيات المعاصرة يمكنها أن تتجنّب التساؤل عن حدود استقلال اللسان القواعد الصوتية، والمعجمية، والصرفية، والإعرابية، والدلالية المنطقية الأساسية" [1].

وبهذا يضع ابن خلدون علوم اللسان داخل الدائرة الواسعة دائرة معارف الإنسان وعلاقته بالجانب العمراني ومدى تقدّمه ، واختصاص فئة من الناس بلون من الفنون، وقد وجد في هذه الرؤية بُغيته وهو يرصد نشاط الإنسان وحركته في اللسان، والاجتماع، والاقتصاد، بمدى تطوّر عمرانه .

إنها رؤية فيلسوف لغوي تسلح بسلاح الحجة النقلية، والعقلية، ينفذ إلى جوهر العلم وحقيقته، ويفلسف الظاهرة اللسانية ويستخرج القوانين التي نحكمها في مقدّمة "مثّلت باباً برأسه لأنّها كانت نمطا فريداً من التفكير، فهي إلى جانب تولّدها عن علم مبتكَر هو علم العمران أو الاجتماع الإنساني.. فهو في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية آخر من حاول تقديم نظرة شمولية في القضية اللغوية تتّسم بالجدّة والطرافة. والذين جاءوا من بعده تناقلوا الموروث"[2].

لقد أشار ابن خلدون إلى عدّة مسائل لغوية تعد من أهم المسائل اللسانية التي اتسم بها الدرس الحديث تبرز في النقاط الآتية:

أ) ـ إدراكه أن اللغة وسيلة تميّز الإنسان عن غيره، وبها يعبر عن أفكاره وآرائه، واحتجاجاته ومقاصده حيث يقول: "فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب و كذا أهل الأندلس معهما وكل منهم متوصّلٌ بلغته لتأدية مقصوده ، والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة"[3].

---

1 ـ صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، م س ، ص: 14 .

2 ـ عبد السلام المسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 1 ، 1981 / ط2، 1986 ، ص: 37 .

3 ـ ابن خلدون: م س ، ص: 558.

وهي أيضا عبارة المتكلم عن مقصوده [1]. فتكون اللغة عنده هي ترجمان العقل والنفس معا، وهي انعكاس للواقع الاجتماعي [2]. وهو ما يقول به الدرس الحديث في أن اللغة ملكة بشرية شغف بها الإنسان بدراستها منذ القدم "إذ إن تركيب اللغة يتحدّد بتركيب العقل الإنساني ، وأن وجود خصائص لغوية كلية تجمع كل اللغات دليل على أن هذا الجانب من الطبيعة البشرية [3]. وقال أندري مارتني " إن اللسان أداة تبليغ" [4].

ب) ـ توصله إلى أن الإنسان يمتلك قدرة لغوية، وهي تلك الصفة الراسخة في النفس ، حيث يقول: إنّ الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجِبِلّة [5] ويقول أيضا: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام جيله ... كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا" [6].

ومن ثم تصبح اللغة فعل لساني يحدث بموجب تداخل عمليات عديدة أهمها : العضوية" خاصة اللسان، الحبال الصوتية، الشفتين والفيزيائية: الأصوات، سرعتها، مقاومة الهواء لها" ، والنفسية حالة المتكلم "المتحدث" وضعيته النفسية، حالة المتلقي ومدى مساهمتها في تأدية" الفعل اللساني"، لهذا يقول: "وتلك العبارة فعل لساني أن يصير ملكة متقررةً في العضو الفاعل لها " [7].

---

1 ـ م س ، ص: 546.

2 ـ ويظهر في التأثير الذي أشار إليه ابن خلدون بملابسةِ العَجم و مُخالطَتهِم حتَّى تأدَّي الفسادُ، وذكره لأمصار كثيرة في إفريقية، والمغرب، والأندلس، والمشرق .

3 ـ جون ليونز : نظرية تشومسكي اللغوية، تر: وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1 ، 1985 ، ص: 36.

4 ـ عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر ، 2007، ص:41 .

5 ـ ابن خلدون: م س، ص: 562.

6 ـ م ن ، ص: 554.

7 ـ م ن ، ص: 546.

كل هذه المسائل المتشابكة المعقدة التي قال بها رواد الحركة اللسانية التداولية في تحديدهم لمفهوم عملية التلفظ بما فيها الحدث الكلامي نجد لها صدى في النظريات اللغوية عند اللغويين العرب قبل ابن خلدون خاصة، عند عبد القاهر الجرجاني الذي تحدث كثيراً في مسألة النظم والبعد المقامي ، والسياقي في الجملة وما بعدها.

ويظهر هذا التشابك بحصول هذه الملكة في اللسان والنطق ، وتحصل لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم، لهذا استعار لها ابن خلدون عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان ، وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم [1].

وهذا يكشف أن اللغة عند ابن خلدون ميزة خاصة بالإنسان دون غيره، وذلك نظرا لاختلاف المواصفات أو اصطلاحات اللغة من أمة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر ، وأنها متنوعة بتنوع الشعوب والمجتمعات، حيث يقول: "... اللسان في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" [2].

---

1 - م س، ص: 563 .

2- م س، ص:546.

- أهم نتائج الفصل الأول:

لقد حددت هذه المقاربة المصطلحية عند ابن خلدون جانب الحدّ والتعريف لعلوم اللسان كما أبرزت العلاقة الجدلية بين أركانه، وتتلخص كالآتي:

1 ـ لقد جعل ابن خلدون أركان علوم اللسان أربعة، وهي صورة تتكامل المعارف اللغوية فيها في شكل هيكل رباعي يضم اللغة، والنحو، والبيان، والأدب.

2 ـ لم يشر ابن خلدون إلى علامات هذه العلوم ، وسمّاها فنا، ثم استأنف الحديث عنها بالتفصيل، وسماها علم النحو، علم اللغة ، علم البيان، علم الأدب.

3 ـ كشف ابن خلدون "أن النحو صناعة، سماه أهله بعلم النحو، وصناعة العربية فأصبح فنّاً محفوظاً، وعلماً مكتوباً، وسُلّما إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله" [1] ، ووسّع من مفهوم اللغة لتأخذ الطابع الاجتماعي في التواصل والتعبير، وميزة الإنسان دون غيره، كما جعل من علم البيان دليلا على معرفة أحوال الهيئات المختلفة للفاعلين أو المخاطبين ، وما يقتضيه حال الفعل من إفادة.

4 ـ جعل من الأدب ثمرة الإفادة في فني المنظوم والمنثور، والأخذ من كل علم من طرف.

5 ـ يجمع بين موضوع الدراسة اللسانية وهو الأسلوب اللغوي، و موضوع الدراسة الأدبية .

---

1 ـ ابن خلدون : م س ، ص: 577 .

الفصل الثاني: رؤية ابن خلدون لعلوم اللسان، ومعالم الابداع داخل المنظومة الشاملة.

تمهيد:

أولا ـ المحاولات الجادة لترتيب علوم اللسان:

ثانيا ـ تنظيرات ابن خلدون لعلوم اللسان وملامح الإبداع :

أ) ـ أصالة علم العربية في جوهره عند ابن خلدون .

ب) ـ الموروث اللساني العربي وقيمته الحضارية .

تمهيد:

إن ابن خلدون صاحب مكانة عالية في الفكر العربي الإسلامي، ويتمتع بغزارة إنتاج لغوي مما جعله موردا لكثير من العلماء المعاصرين له ، والتالين لزمانه يصدرون عنه ويرجعون له في كثير من مسائل اللغة النظرية و التطبيقية ، وقضايا التربية و الاجتماع، ويظهر في المسائل المحاولات الجادة لترتيب علوم اللسان، والتناسب الوضعي بين علوم اللسان والدرس اللساني الحديث .

أولا - المحاولات الجادة لترتيب علوم اللسان:

ترجع أول محاولة جادة لترتيب علوم اللسان في نسق واحد إلى الفارابي، فقد أطلق على كل العلوم اللغوية اسما شاملا لها ، وهو علوم اللسان.

ويتألف هذا العلم عنده من عدة مجالات يقابل "علم الألفاظ المفردة " في تصنيف الفارابي علم الدلالة في التصنيف الحديث. ويتناول "قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وعندما تركب" البحث في الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة على التوالي، ولكن الفارابي أدخل في علوم اللسان بعض الموضوعات التي لا تدخل في علم اللغة بالمعنى الحديث. وكان أبو حيان النحوي أول من أطلق مصطلح "علوم اللسان العربي" على علوم اللغة، وقد تابعه ابن خلدون في استخدام هذا المصطلح.

وبهذا تضم علوم اللسان العربي عند أبي حيان :علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم النحو، ويتناول علم اللغة "مدلول مفردات الكلم"، ويتناول علم التصريف "أحكام مفردات الكلم قبل التركيب" أما النحو فيتناول أحكام مفردات الكلم "حالة التركيب"، وبذلك كان مصطلح "علوم اللسان العربي" عند أبي حيان شاملا لعلوم اللغة عند العرب دون غيرها، ولا يقتصر مجال علوم اللسان العربي عند ابن خلدون على النحو، واللغة بل ضم إليهما علم البيان وعلم الأدب ، وبذلك لم يفصل ابن خلدون بين علوم اللغة بمعناها المحدّد والدراسة الأدبية [1].

---

1 - محمود فهمي حجازي، م س ، ص: 71 .

وإن لم يذكر علم التصريف فإن الصرف في المعهود العربي هو جزء من النحو، كما أن الطابع الشمولي للمقدّمة يجعل منها لا تتطرّق للتفاصيل مما يجعله يذكر بعض القضايا عرضا فيذكر لك التصريف في مواضع من المقدّمة ويراه أنه من لوازم الدلالة كأن يذكر أن ما يلزم دارس علم أصول الفقه، فيقول: "إذْ يتعيّن عليه النظر في دلالة الألفاظ ، وذلك أن استفادة المعاني على الاطلاق من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقَّفُ على معرفة الدَّلالات الوضعية مفردةً ومركبة، والقوانين اللسانيةُ وفي ذلك هي علوم النحو، والتصريف، والبيان، ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام، فكانت كلها من قواعد هذا الفن، ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية"[1].

ومثل هذا الأمر يبرز في المستوى الصوتي الذي لم يخصِّص له ابن خلدون بابا غير أننا نجده يحتفي في مواضع كثيرة بالمسموع والمكتوب في مثل قوله "مشافهة الرسوم بالكتاب، ومشافهة اللسان بالخطاب [2].

مما جعل الخط والكتابة من عداد الصنائع لدى الإنسان ، وهو ثاني رتبة من الدلالة بعد الكلمات المسموعة اللغوية، وهو صناعة شريفة والكتابة من خواص الإنسان التي يتميّز بها عن الحيوان ، وهي تُطلع على ما في الضمائر وتتأتى بها الأغراض[3].

ويفهم من هذا أن ابن خلدون يضع الجانب الصوتي في المرتبة الأولى ، وهذا هو دأب الدرس اللساني الحديث، حيث كشف لنا بأن جانب الصوت أدّق ما ضبطه العرب في علومهم اللغوية ، لأن الوجه التشريحي من علم الأصوات ثابتا قارّا لا يتغيّر من لغة إلى

---

1 - ابن خلدون، م س، ص: 454 .

2 - م ن ، ص: 553 .

3 - م ن ، ص: 417 .

أخرى [1].

ويقول أنطوان ميي " إن الذين اخترعوا الكتابة وحسّنوها هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين ابتدعوا علم اللسان" [2].

وهو ردّ على الادعاء القائل بأن الدرس العربي يهتم بالمكتوب فقط ، ويهمل المسموع في الوقت الذي نجد ابن خلدون يشير إلى الأمرين.

والنحو عند ابن خلدون هو الذي يصنع الحدث اللغوي ، ومعالم هذه الصورة واضحة في الدرس العربي فقد قال عبد القاهر الجرجاني عنه : "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وهو الذي يصنع الاستعارة اللطيفة، والكناية الجميلة، والتشبيه الرائع" [3].

وهو ما يبرز في الدرس الحديث إذ إن النحو واللسانيات ليس ضدّين بالمعنى المبدئي للتضاد [4]. وصورة الترابط بين هذه المستويات هي صورة العربية منذ سيبويه الذي ربط درس الحروف بأحكام القراءة[5] . كما حاول بعضهم أن يصوغ شكلا نظريا لعلم أصول النحو وفق أصول الفقه [6].

وفي علم البيان كشف ابن خلدون عن مبدأ الفائدة فيه ، فقال: "إن هذا العلم حادثٌ

---

1 ـ عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية ، ص: 13.

2 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، م س ، ص: 52 .

3 ـ انظر :عبد القاهر الجرجاني، م س، ص: 28 .

4 ـ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص:15 .

5 ـ سيبويه، م ن ، ص: 431 ، 432 .

6 ـ حسن خميس الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق للنشر، ط1 ، 2001 ، ص: 12 .

في الملّةِ بعد علم العربيَّة و اللُّغةِ وهو من العلوم اللّسانية لأنّه متعلّقٌ بالألفاظ و ما تفيده و يقصد بها الدّلالة عليه من المعاني و ذلك أنّ الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه " [1] ، وهذا لا يخرج عن صورة الدرس العربي وهو ما أقر به علماء البلاغة " لا أعلم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منها على المرء لمراد الله تعالى من كلامه، ولا أعون على تعاطي تأويل متشابهاته و لا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة " [2].

ومن ثم يحقّق ابن خلدون من خلال عرضه لعلوم اللسان وربط هذه العلوم بالأدب لإدراك الإنسان والمجتمع الإنساني الذي يقف وراء اللغة لإدراك المعرفة البشرية التي تتجلى خلال اللغة، وهذا ما قصده هيلمسلاف "إن النظرة اللسانية التي نتطلع إليها ليست رغبة داخلية، ولا ضرورة خارجية لإدراك النظام اللغوي في شكله واستعماله في فرديته ومجموعته فحسب، بل هي نظرة لسانية لإدراك الإنسان والمجتمع الإنساني الذي يقف وراء اللغة، ولإدراك المعرفة البشرية التي تتجلى خلال اللغة، فإذا كان ذلك كذلك فإن النظرية اللسانية ستحقق هدفها النهائي الإنسانية والعالمية" [3].

وفي ربط علوم اللسان بالأدب هو ربط للكلام بالمقام ، وهي وسيلة إلى اختيار الأفضل و الأحسن في طرائق التعبير حتى يأتي الكلام مؤثرا بليغا، وهذه الرؤية هي أساس العمل في علم اللغة الاجتماعي [4].

والدرس العربي له لمحات ظاهرة في هذا المجال فهو يركز على طرائق التعبير أو التنوعات اللغوية لاختيار الأنسب منها ، لهذا نجد عبد القاهر من الداعيين بصورة أو

---

1 ـ ابن خلدون: م س ، ص : 550

2 ـ السكاكي : مفتاح العلوم، مطبعة الميمنية مصطفى البابي الحلبي، مصر ، د ت، ص: 178 .

3 ـ مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، 1988 ، ص: 14 .

4 ـ كمال بشر، م س ، ص: 199 .

بأخرى إلى وجوب ربط الكلام بمقامه، وهذا الربط من صميم البحث في علم اللغة الاجتماعي، ويجعل اللغة عند هؤلاء هو واحد من العلوم الاجتماعية أو فرع من فرع علم الاجتماع[1].

إنه يأخذ بالواقع الاجتماعي في الاستعمال، فهو يلقي الضوء على السلوك الاجتماعي والخواص الاجتماعية من عادات وتقاليد في المجتمع المعيّن . ولا يتجزأ عن الدراسات اللغوية بمعناها العام، و جاء منسجما مع الدرس العربي، ومع رؤى عصره ، لا تحس في تحليلاته شرودا أو تدافعا.

أما دراسة ابن خلدون للغة فهو ينظر إليها بالمعنى العام ، وهو العلم الذي يدرس اللغة بوصفها خاصة إنسانية ، يضاف إليها بأنها لغة معيّنة أي اللغة العربية . كما يعتمد على علوم أخرى كعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة التربوي ، وعلم التطبيقي المتمثل في علم المفردات، وصناعة المعجم [2].

كما يجمع بين علم اللغة النظري من نحو وبيان، وعلم اللغة التطبيقي المتمثل في علم المفردات وصناعة المعجم. فكل هذه الميادين قد يكون العمل فيها نظريا، وقد يكون تطبيقيا، والتوابع الأخرى كعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة التربوي لهما جانب نظري، وآخر تطبيقي. وهذه الثنائية أيضا ميزة الدرس في القديم والحديث.

وبهذا لم يخرج ابن خلدون عن هذا الإطار العام في استعمال المصطلحات إذ نجده في مقدّمته يستعمل المصطلحين " اللغة" ، و"علم اللغة" بمعنى واحد، وهو ذلك المعنى الذي يشاركهما فيه المصطلح الثالث "متن اللغة" الذي نص أكثرهم على اختصاصه بالبحث في الثروة اللفظية[3].

---

1 - م س ، ص: 199.

2- م ن ، ص: 205 .

3 - م ن ، ص: 306 .

وآثار هذه المصطلحات لازالت سارية في الدرس اللساني الحديث. وهذه التسمية التي اختارها ابن خلدون وعدّ أركان هذه العلوم أربعة، هي اللغة، والنحو، والبيان، والأدب. وهذا معناه أن هذه العلوم تشمل الدراسات اللغوية والأدبية جميعاً.

وتركيز ابن خلدون على النحو بارز في هذا الأمر "إذْ به تتبيّن أصولُ المقاصد بالدلالة" [1].

وإن الاهتمام بالمعنى في التراث العربي الإسلامي ظهر مبكرا، وليس كما يؤرّخ له في الدرس الغربي ، فقد ظهر في حقول معرفية مختلفة نجده بارزا في البلاغة ، وفي الفلسفة، وفي أصول الفقه. كما يأخذ الأصوليون بنظرية الاستعمال أو السياق على أساس أنه هو الذي يحدّد هاتين الصّفتين.

وفي الغرب يقول "جلبرت راسل " بأن قصة الفلسفة في القرن العشرين هي قصة فلسفة المعنى كما أكد الفيلسوف "برتراند راسل" في كتابه بحث في المعنى والصدق بأن الذي يضفي الوحدة على الجملة المفيدة هو وجود رابط منطقي يتمثل في ترتيب المفردات من حيث هي كذلك[2].

لهذا يذكر ابن خلدون ما يلزم دارس علم أصول الفقه " إذ يتعيّن عليه النظر في دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعاني على الاطلاق من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقّف على معرفة الدلالات الوصفية مفردة ومركبة، والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو، والتصريف ، والبيان، ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام فكانت كلها من قواعد هذا الفن، ولكن لها من مباحث الدلالة كانت لغوية[3].

---

1 - ابن خلدون: م س ، ص: 545 .

2 - صلاح إسماعيل ، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، قصة التناص، عالم الفكر، 2011 ، ج1 ، ص: 35 .

3 - ابن خلدون : م ن ص: 454 .

ثانيا - تنظيرات ابن خلدون لعلوم اللسان وملامح الإبداع :

إن ما نكتشفه من الشروحات العربية من كتاب سيبويه ، ومن جاء بعده يساعد على فتح المغالق.

وإن قولهم "إنه الدراسة العلمية للسان" فما زادت عبارتهم على ما دلت عليه العبارة الأوربية إلا فائدة الحصر والتوكيد وقد يحتاج إليه القارئ الأوربي [1].

وهو ما يجعل الطرح الفلسفي للغة في الماضي كالطرح الحديث في علوم اللسان كلاهما يحتضن الظاهرة اللغوية في شمولها الكامل مما يجعل ابن خلدون يمثل فترة القوة في الدرس العربي قبل أن ينحط بعد سقوط دولة الموحدين.

إن تقسيم ابن خلدون لعلوم اللسان المستنتج من كلامه عن اللغة وعلومها ووظيفتها وانتشارها يكشف صورة الدرس الحديث في إخضاع اللغة للمجتمع في الرؤية السوسيرية كما يبرز عند ابن خلدون .

إن اللغة ميزة إنسانية ، وطبيعة الاجتماع يناسب هذا الأمر لهذا نجده في مواضع كثيرة يشير إلى أن الإنسان اجتماعي بطبعه، واللغة وسيلة التواصل هي التي تحقّق هذا الاجتماع.

وإذا كان ابن خلدون قد اشتكى من تحديد المصطلحات ليس فقط في حقل علم اللغة بل في كل المعارف والصنائع، وهذه الشكوى وجدناها عند سوسير ثم عند أندري مارتيني، كما نجدها عند هيلمسلاف الذي كوّن معجما خاصا للعمل في حقل العلوم اللغوية [2].

---

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، م س ، ص:21.

2 - عبد الجليل مرتاض، مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث، منشورات ثالة، الجزائر، 2003، ص:134، 135 .

أ) ـ أصالة علم العربية في جوهره:

إن ما يمكن أن نقر به هو أن ابن خلدون يميل إلى التأصيل للدرس العربي لهذا نجده يتحدث عن الروايات المتواترة حول هذا العلم فيذكر نسبة وضع العربية إلى أبي الأسود الدؤلي ، والخليل بن أحمد، وابن جني وغيره من الأقطاب مما يؤكد أصالة هذا العلم أنه علم عربي في جوهره ، ويدحض الطرح القائل بمبدأ التأثر المحتوم القائم على أن النحو العربي متأثر بالمنطق اليوناني ، ولا يوجد ما يدعم هذه النظرية التي تجعل من كل مفهوم عربي يوجد في كتاب سيبويه مفهوما يونانيا ، أو هنديا ، وأن العربية كانت وسيلة تبليغ واتصال في القرون الأولى ، وما جاء القرن الرابع الهجري حتى صارت وسيلة ثقافة. [1]

وإن "فقه اللغة" الذي أشار إليه ابن خلدون في حديثه عن أركان علوم اللسان ، هو لفظ يطلق على أحد فروع علم اللغة، وموضوعه هو الفوارق اللغوية التي تنتج عن التفريع الدلالي وتشعبات المعاني أو بعبارة أخرى التمييز بين الوضع والاستعمال فيما يرجع إلى المفردات. وقد ألّف فيه أحمد ابن فارس (ت 392) "الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها" وفيه قسّم علم العرب إلى أصل وفرع، والأصل يتمثل في معرفة الأسماء والصفات كقولنا: رجل، وفرس، وطويل وقصير، وهذا الذي يبدأ به عند التّعلم، والفرع فيه يكون القول فيه على موضوع اللغة ، أي أوضاعها الإفرادية، وأوليتها، ومنشأتها، ثم سيرها على رسم العرب ، أي على عوائدها اللغوية في مخاطباتها، والتفنن في استعمالاتها حقيقة ومجازا.

مما يظهر من هذا أن فقه اللغة يهتم أيضا بالبحث النظري فهو يعالج أيضا كفرع لعلم اللغة، ظاهرة الترادف، والاشتراك، والمولّد ، والدخيل وغير ذلك، ثم يبحث بالتالي عن ظاهرة الوضع اللغوي بصفة عامة، ومن ثم يعتني بالبحث عن الكلمات وتكيّفها اللغوي

---

1 ـ أنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، م ن ، ص: 19 .

وتنوعها اللهجي، وعن منشأ اللغة كلها وأسباب الوضع فيها ، وليس كما يقصره الغرب في دراساتهم عن دراسة النصوص القديمة ولا تتعداها . وفي هذا تصحيح لبعض الأخطاء المنهجية كالقول إن الطريقة الفيلولوجية الأوروبية هي الأسلوب الوحيد الذي يناسب البحث العلمي [1].

ب) ـ الموروث اللساني العربي وقيمته الحضارية :

وهذا يؤكد ما ذهب إليه بعضهم إلى أن اللسانيات مادة قديمة قدم أية لغة حضارية معروفة ، وإنها لم تكن تخلو في أية حقبها من منهج خاص بها متناسب مع مستويات التفكير فيها وثقافة علوم عصرها [2].

وإن ما توفر في الدرس العربي، وعمل على إبرازه ابن خلدون في تنظيره لعلوم اللسان يكشف أن الموروث اللساني العربي يتماشى والدرس الحديث. "وتظهر أهمية الموروث اللساني العربي القديم بشأن ما نحن بصدده، كيف أنه فرّق بين اللغة كواقع أو تنظيم قائم بذاته موزع ضمنيا على الجماعة المتبنية لذات اللغة وبين الأداء كاختيار حر نابع من الفرد المتكلم، وهو استعمال تزامني ضمن سياق معين، والأداء الكلامي عندهم لا يخرج عما سمي لديهم عن حدود الطبع أو السليقة أو الملكة اللغوية الموسومة بسمة اللاشعور" [3].

وفي ربط ابن خلدون بين علوم اللسان والأدب فهو ينهج طريقة الأسلوبية المتشعبة في أصولها المتباينة في نظرتها، تلتقي حينا، وتختلف ثانيا، وتلتقي بين الدرس النقدي والدرس الأدبي رابعا[4].

---

1 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، م س ، ص:17 ، 18 ، 19 .

2ـ عبد الجليل مرتاض ، في رحاب اللغة العربية، ص: 146 .

3 ـ م ن ، ص: 146 .

4 ـ فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط1 ، 2001 ، ص: 11 .

ومن ثم جاء الغرض الأسلوبي في حقيقته له مكان في المجالين، فموضوع الدراسة اللسانية هو الأسلوب اللغوي، وموضوع الدراسة الأدبية هو الأسلوب الأدبي "الشعري"

إذ إن الأسلوب الشعري في جانب منه إلا الأسلوب اللغوي ، واللساني يحتاج فيه إلى تفسير تكميلي يقدّمه علماء الأدب كي يتمكن من فهم هذا الأسلوب بكامله [1].

إن ما تناوله ابن خلدون في الفصل المتعلق بـ"علوم اللسان العربي" وتلك الفصول الخادمة للظاهرة اللغوية بصفة عامة في المقدّمة، إنما جاءت منه كإدراك للعلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع حيث نجده يرى أن اللغة هي إحدى دائم المجتمع ، والبعد الاجتماعي في تقرير ابن خلدون للظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية يظهر في استغلال ابن خلدون مصطلح الفساد لملامسة اللغة العربية للغة الأعاجم ، مما يكشف قوة التحليل لدى ابن خلدون في تحليل الظاهرة اللغوية بمحاذاة الظاهرة الاجتماعية ، حيث يرى أن الظاهرة اللغوية خاضعة لتغيرات الوسط الاجتماعي بعاداته وتقاليده (2).

---

1 ـ أُنظر: فيلي ساندريس ، ص: 19 ـ 23 .

2 ـ فتيحة حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، دراسة تحليلية نقدية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011 ، ص: 100 .

- أهم نتائج الفصل الثاني :

لقد كشف الفصل الثاني من هذا البحث أن الطرح الفلسفي للغة في الماضي كالطرح الحديث في علوم اللسان، مما يجعل مادة اللسانيات مادة قديمة قدم أية لغة حضارية، وتتلخص في النتائج الآتية:

1 ـ إن ما شغل الناس من مسائل اللغة قديما هو ما يشغلهم اليوم لهذا نجد ابن خلدون يشير إلى اللغة كظاهرة اجتماعية ، وهذا ما قال به سوسير.

2 ـ تفريق ابن خلدون بين اللغة كواقع أو تنظيم قائم بذاته.

3 ـ تقارب مسائل النحو العلمي في الدرس العربي في قرونه الأولى مع مسائل الدرس اللساني الحديث لهذا نجد ابن خلدون يتحدث عن الروايات المتواترة حول هذا العلم فيذكر نسبة وضع العربية إلى أبي الأسود الدؤلي ، والخليل بن أحمد، وابن جني وغيره من الأقطاب مما يؤكد أصالة هذا العلم هو علم عربي في جوهره. وكذلك احتفائه بالمعنى مما يكشف أن الاهتمام بالدلالة ليست وليدة الدرس الحديث، وأن الدرس العربي في القديم أكد أن كل بحث في النحو أو اللغة هو بحث في الدلالة.

4 ـ يرى ابن خلدون بأن النحو هو أساس تكوين الجملة العربية وبنائها وهو أصل الإفادة وبدونه يختل التفاهم مما يكشف أن اللسانيات ليست بديلا للنحو ، وهو الذي جعل تشومسكي يسمى درسه الحديث بالنحويات.

5 ـ قدّم ابن خلدون علم النحو على باقي الأركان باعتباره علما ابستمولوجيا، وباقي الأركان فروعا لها.

الفصل الثالث: قضايا علوم اللسان عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة الحديث.

تمهيد:

<u>أولا</u> ـ نقاط اشتراك ابن خلدون مع الدرس اللساني الحديث: أ) ـ اللغة وسيلة تواصل. ب) ـ اختلاف اللغات من مجتمع إلى آخر. ج) ـ اللغة فعل لساني. د) ـ اللغة ملكة لسانية.

هـ) ـ اللغة ذات طابع اصطلاحي والتكلم قصدي.

<u>ثانيا</u> ـ قراءة في المصطلحات الخلدونية: أ) ـ مصطلحا اللسان، واللغة في المشهد اللساني الخلدوني. ب) ـ مكانتهما في العلوم اللسانية عند العرب. ج) ـ علم اللسان بين الحدّ والتعريف في الدرس العربي .

ثالثا ـ علوم اللسان العربي في مقدّمة ابن خلدون ورواد الدرس اللساني الحديث : أ) ـ النحو عند تشومسكي. ب) ـ النحو عند أندري مارتيني.

تمهيد:

إن العلم الذي يطلق عليه في البلدان الأوربية والأمريكية الآن (linguistics) [1] يعنون بذلك علوم اللسان وقد نشر هذا في مجلة اللسانيات التي كان يصدرها معهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة الجزائر . وهذا ما نعرض له في النقاط التي يشترك فيها ابن خلدون مع الدرس اللساني الحديث من خلال قراءة في مصطلحاته.

أولا ـ نقاط اشتراك ابن خلدون مع الدرس اللساني الحديث:

يشترك ابن خلدون مع الدرس اللغوي في النقاط الآتية:

أ)ـ اللغة وسيلة تواصل، وطابع اجتماعي، حيث يقول " فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما، وكل منهم متوصّلٌ بلغته لتأدية مقصوده ، والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة" (2) .

وهو ما يقر به الدرس اللغوي الحديث ، فهي وسيلة للتواصل عند أندري مارتيني، ومؤسسة اجتماعية عند سوسير.

ب) ـ اختلاف اللغات من مجتمع إلى آخر، حيث يقول: " إن اللسان في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" [3].

وهو ما أشار إليه سوسير في مراتب الدراسة اللسانية فجعل أعلاها الدلائلية، وبعدها اللسانيات العامة ، ثم اللسانيات الوصفية التي تقصر فيها الدراسة على لغة معيّنة .

ج) ـ اللغة فعل لساني ، وقد أبرزه في قوله "وتلك فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة

---

1 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، م س ، موفم للنشر، 2007 ، ص:7 .

2 ـ ابن خلدون، م س، ص:558 .

3 ـ م ن ، ص: 546.

متقررة في العضو الفاعل لها)[1]. وهو ما يتقارب مع المنحى التداولي .

د- واللغة ملكة لسانية في قوله : " اعلم أن اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة ، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجُودَتِها وقُصورها بحسب تمام الملكة أو نُقصانها وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما بالنظر إلى التراكيب "[2] ؛ وهو ما تقول به الدراسات الحديثة، وهو ما يسميه تشومسكي بالقدرة ، ويميزها عن المظهر الخارجي للكلام أو ما يستغله المرء علميا من هدف القدرة اللغوية، ويسمى هذا المظهر بالإنجاز.

هـ) - اللغة ذات طابع اصطلاحي والتكلم قصدي ، حيث يقول"و اللسان في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم... وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها "[3] وهذا ما يقره سوسير في أن اللغة واقع مكتسب واصطلاحي.

لقد جمع ابن خلدون في علوم اللسان بين اللغة وعلم المفردات وصناعة المعجم ، وهو ما تقرّه الدراسات الحديثة حيث تعد دراسة علم المفردات فرع من اللسانيات التطبيقية [4].

<u>ثانيا - قراءة في المصطلحات الخلدونية:</u>

إن هذه القراءة تركز على طبيعة وأصل وحيز المعرفة مما يجعلها قراءة ابستمولوجية [5].

وهو ما وسموه في اللسان العربي علم المعرفة، أو عرّبوه فقالوا إبستمولوجيا، ومحتوى

---

1 - ابن خلدون ، م س ، ص: 546.

2 - م س، ص: 554 .

3 - م ن ، ص: 546.

4 - انظر ،علي القاسمي: اللغة وصناعة المعجم، ص: 7 .

5 - حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ، ص: 22.

هذا العلم بارزُ الوجود في التفكير العربي الإسلامي ، وإن لم تتبلور شحناته الفلسفية على صعيد الاصطلاح ، فقد كان التفكير العربي الإسلامي كلما نضج علم من العلوم أمامه عكف على دراسة أسسه، ومبادئه العامة دراسة نقدية، وكان كلما فعل ذلك أخذ اسم العلم وأضاف إليه كلمة "أصول" ، وهكذا كان ظهور أصول الفقه، وأصول الكلام، وأصول النحو[1].

إن ما نجده عند ابن خلدون من مصطلحات علوم اللسان يكشف أن تجاوز هذا الأمر مستحيل ، لهذا وجب أن نعرض لها من حيث الحدّ والتعريف، ونبرز أهميتها في الدرس اللغوي، وهو ما عرضنا له في الفصل الأول.

وإن تقسيمه لعلوم اللسان وقصره على أربعة أركان فهذا لا يأتي إلا من لغوي متخصص.

وقد سبق تشومسكي في تحديد مفهوم الملكة اللغوية على أنها قدرة كائنة في الفرد، وتوصل إلى تحديد مفهوم ارتقاء الملكة إلى صناعة يتم عن طريق الممارسة والتكرار، والمران [2].

كما أن التناسب الوصفي الذي يوجد بين علم اللسان الحديث وبين علم العربية، وأعني بهذه التسمية الأخيرة علوم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وبلغ أشده في زمن أبي عمرو بن العلا، واكتملت مادته ووسائله على يد الخليل بن أحمد ، وتلميذه سيبويه. فإن هذا التناسب بين الأوضاع النظرية والمنهجية التي امتاز بها فكر الخليل ومن تابعه ، وبين الأوضاع العلمية الحديثة وأخص منها أحدثها [3].

1- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 ، 1982 ، ص: 132 ، 133 .

2 - ابن خلدون، م س ، ص: 561.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، م س ، ص:10 .

والنحو يتناسب مع رؤية ابن خلدون العقلية لذلك قيل "إن النحو هو معقول من منقول كما أن الفقه معقول من منقول " [1].

أ) ـ مصطلحا اللسان، واللغة في المشهد اللساني الخلدوني :

لقد فضّل ابن خلدون مصطلح اللسان على كلمة لغة، لذلك نجده يستعمل بكثرة مصطلح اللسان، وعلوم اللسان. وإن كنا نجد في الدرس العربي مصطلح اللسان ، ومصطلح اللغة[2].

وإن دل مصطلح "لغة" على المعنى العام الذي قال به ابن جني " حد اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم "، فقد تدلّ أيضا على معان أخرى مشتركة كاللهجة وهو ما عناه سيبويه بقوله: وهذا في "لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى حين مثّل بقوله تعالى (ما هذا بشرا) [يوسف: 31]. وقوله "ما زيدٌ إلا منطلقٌ " تستوي فيه اللغتان. وقوله: وقد يُرفع هذا في لغة بني تميم والنصب في لغتها أحسن" [3].

أما مفهوم اللسان فهو حسب ما عرفه العلم الحديث، وحسب ما هو عليه عند علماء اللسانيات أي باعتباره موضوعاً من مواضيع البحث العلمي. وإن ما يحصل للدلالة على شيء يمكن أن يستعمل مجازيا وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى كلمة "لغة" ومرادفها كثيرا [4].

وإذا كان ابن خلدون أولى علم النحو أهمية قصوى فإن تشومسكي قد سمّى دراساته في

---

1 ـ ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبوالفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998، مقدّمة المؤلف. انظر أيضا: السيوطي ،الاقتراح في علم أصول النحو ، قرأه وعلق عليه محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص: 9 .

2 ـ قال ابن جني: حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ـ الخصائص، ج1 ، ص: 33.

3 ـ سيبويه، م س ، ص:59 ، 384 .

4 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 39 .

العصر الحديث بالنحويات، وهي مجموعة من القواعد النحوية التي يستطيع المرء بها إنتاج غير محدود من الجمل.[1]

وهو ما أبرزه ابن خلدون بقوله" والذي يتحصل أن الأهم المقدّم منها هو النحو، إذ به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة"[2]. وكذلك عرضه للتغيير بين تركيب وتركيب في مثل قوله " ألا ترى قولهم : زيدٌ جاءني مغايرٌ لقولهم جاءني زيدٌ من قبل أنّ المتقدّم منهما هو الأهمُّ عند المتكلّم فمن قال جاءني زيدٌ أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المُسنَدِ إليه، ومن قال زيدٌ جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المُسند"[3].

والروايات التي عرضها ابن خلدون في مثل هذا الأمر كثيرة ، فقد حكي عن عيسى بْن عمر قال له بعض النحاة إني لأجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيدٌ قائمٌ ، وإن زيداً قائمٌ، وإن زيداً لقائمٌ، والمعنى واحد. فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لإفادة الخالي الذهن من قيام زيْدٍ، والثاني لمن سمعه فتردد فيه ، والثالث لمن عرف بالإصرار على إنكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال [4].

فكان هدفه هو ما تتوخاه التوليدية التحويلية في العصر الحديث من اهتمام بالمعنى، بدل الاقتصار على التصنيف واهمال التفسير . وبهذا لم يكتف بالمؤشر اللغوي فقط بل أشار إلى المؤشر غير اللغوي وهو ما يفهم من إشارة ابن خلدون إلى أن الكناية دلالة زائدة على دلالة الألفاظ عن المفرد والمركب، فقولك: زيدٌ أسد ، فأنت لا تريد حقيقة الأسد المنطوقة ، وإنما تريد شجاعته اللازمة وسندها إلى زيد وتُسمى هذه استعارة، وكذلك قولهم: زيد كثير الرماد، وتريد ما لزم ذلك عنه من الجود، وقِرى الضيف لأن كثرة الرماد ناشئة عنهما[5].

---

1 - نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ط2، تر: يؤول يوسف عزيز، منشورات عيون، الدار البيضاء، 1987 ، ص:5 .

2 - ابن خلدون : م س ، ص:545.

3 - م ن، ص: 550 ، 551 .

4 - م ن، ص: 556 .

5 - م ن، ص: 551 .

ب) ـ مكانة اللسان، واللغة في العلوم اللسانية عند العرب:

إن لفظة "اللغة" كانت تطلق عند النحاة واللغويين على عدة معان زيادة على ما يفهم من تحديد ابن جني وهو اللسان بوجه عام. وإن المفهوم العام الذي عرفه لفظ "اللغة" هو ما عرف في الحقيقة إلا بعد نهاية القرن الثاني الهجري، وأن الأصل في الدلالة عليه هو ما استعمله القرآن الكريم ، ألا توجد فيه كلمة أخرى لهذا المدلول غير اللسان[1].

ج) ـ علم اللسان بين الحدّ والتعريف في الدرس العربي :

إن النحاة الأوائل وغيرهم من العلماء العرب يطلقون غالبا على مفهوم الدراسة العلمية لظاهرة اللسان بصفة عامة لفظ "علم اللسان" ، يقول الفارابي: علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم يدل عليه شيء منها. والثاني علم قوانين تلك الألفاظ . [2]

وتأتي هذه التسمية للدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تمييزا لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الحديث، وعلم المنطق، وعلم الحساب، والفقه التفريعي وغيرها من فنون المعرفة.

وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء لخصها بعضهم في علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تركّب ، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار، وعلم الألفاظ المفردة يحتوي على ما تدل عليه لفظة من الألفاظ الدالة على أجناس الأشياء، وأنواعها، وحفظتها وروايتها كلها: الخاص بذلك اللسان، والدخيل فيه والغريب منه، والمشهور عند جميعهم، وعلم المركب هو علم الأقاويل التي تصادف مركبة عند تلك الأمة . [3]. وهو ما يبرز في الأسلوبية.

---

1 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، م س ، ص: 81 ، 82 .

2 ـ م ن، ص: 83.

3 ـ م ن ، ص: 83 .

ثالثا ـ علوم اللسان العربي عند ابن خلدون ورواد الدرس اللساني الحديث :

يلتقي ابن خلدون في عملية التأصيل لعلوم اللسان مع رواد الدرس اللساني الحديث، ومنهم عبد الرحمن الحاج صالح في قوله بأن هذا العلم الذي يطلق عليه في البلدان الأوربية والأمريكية (linquistics) يعنون بذلك علوم اللسان ، مما يؤكد تناسب وضعي بين علم اللسان الحديث وعلم العربية أي علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وبلغ أشده في زمن أبي عمرو بن العلا واكتملت مادته ووسائله على يد الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه [1].

مما يكشف أن الدرس العربي الذي وضعه العرب في القرون الأولى هو ما يناسب الدرس اللساني الحديث، وهو ما يعرف بالنحو العلمي في زمن الإبداع ، ويتميّز بالجانب الذي ينشد البحث عن الحكمة وراء تناسق اللغة العربيّة في الاستعمال ، ويقابله

النحو التعليمي وهو ما يمثله عهد الشروحات في العصور المتأخرة، ويقتصر على شرح الأحكام العامة المؤدي تطبيقها تطبيقا سليما إلى انتحاء سمت كلام العرب الفصحاء المحتج بلغتهم [2].

وإذا اعتبرنا أن الاتجاهات اللسانية المعاصرة لا تخرج عند أهل الاختصاص عن الاتجاه التوزيعي، والاتجاه التوليدي التحويلي، والاتجاه الوظيفي[3].

فإن الدرس العربي بما فيه من إشارات إلى قواعد تستنتج بالضرورة من ذخيرة لغوية محدودة، تعكس ذخيرة لغوية غير محدودة تجعل الهدف من النظرية اللسانية هدفا تعليليا

---

1 ـ عبد الرحمان الحاج صالح ، م س ، ص: 10 .

2 ـ حسن خميس الملخ، الحجاج في الدرس النحوي، عالم الفكر، أكتوبر، ديسمبر 2011 ، العدد 2، المجلد 40 ، ص: 120 .

3 ـ حنفي بناصر، مختار لزعر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، 2009 ، ص: 29 .

شرحيا أكثر من كونه هدفا وصفيا تقريريا ، وهو ما نجده في الدرس العربي من احتفاء بالدلالة في الفروق بين تعبير وتعبير في مثل قولهم: عبد الله قائم، إن عبد الله قائم، إن عبد الله لقائم. مما يكشف أن المثال الأول جاء في شكل خبر يخبر عن وضعية عبد الله، وفي المثال الثاني جاء الخبر في شكل جواب لمن سأل عن قيام عبد الله، وفي المثال الثالث جاء الخبر في شكل تأكيد لمن أنكر قيام عبد الله. وهو ما أفاض فيه أبو سعيد السرافي في مناظرته بحضور الوزير ابن الفرات ، قال أبو سعيد : إذا قلت زيد أفضل إخوته لم يجز، وإذا قلت أفضل الإخوة جاز، والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد. وزيدٌ خارج عن جملتهم، والدليل على ذلك لو سأل سائل فقال من إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول زيد وعمرو ، وبكر، وخالد، وإنما تقول : بكر، وعمرو، وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم. فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول أفضل إخوته. فإذا قلت: زيد خير الإخوة جاز، لأنه أحد الإخوة ، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة ، ألا ترى أنه لو قيل من الإخوة ؟ عددته فيهم. فقلت: زيد، وعمرو، وبكر، وخالد[1].

ومن ثم فإن "الجمل غير منتهية، وأنها من إنتاج المتكلم، في حين أن الألفاظ أو المورفيمات "اللكسيكية" منتهية لارتباطها بتقلبات صوتية مرتبطة بأصوات محدودة في كل لغة" [2].

وهو ما يجعل الدرس العربي يحتفي بالمعنى ، وأن نظام التركيب هو قدرة المرء على الاستعمال غير المحدود لوسائل محدودة، بينما الألفاظ منتهية.

وهي نظرة تقرّب الدرس العربي من الاتجاه التوليدي التحويلي في إطار الاهتمام بالصفات العامة المشتركة في اللغات بدلا من التأكيد على الفروق بين اللغات كما تفعل

---

1 ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، الكتاب العربي، بيروت، 2005 ، ص: 73 .

2 ـ عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص: 167 .

المدرسة البنيوية.

أ) ـ تعريف النحو عند تشومسكي:

ومن ثم فإن تعريف النحو في الدراسات الحديثة عند تشومسكي يدمج كل ما يخص الدراسة الشكلية للجمل، وتدور هذه الدراسة عنده في ثلاثة أقسام الفونولوجيا ، والمورفولوجيا، والسانتكس ، وقد تشمل رابعا الدلالة كما تظهر في أعماله الحديثة بعد ما تخلى عن فكرة التوزيعية التي تقصي المعنى من الدراسة اللغوية [1]. وهذا ما يؤكد التسميات التي نجدها في كتابات اللسانيات عند تشومسكي بالنحويات [2].

ب) ـ النحو عند أندري مارتيني:

والنحو عند أندري مارتيني وأتباع مدرسة الوظيفة أن النحو هو كل ما يتطلع إلى الإخبار أو الدليل على وظيفة ملفوظ، وبما أن "اللكسيك" والنحو كليهما يحتل وحدات من

التمفصل المزدوج الأول ، فإن التعارض بين المونيمات اللكسيكية والنحوية أن الأولى تنتمي إلى جرد غير محدود، بينما الثانية تنتمي إلى جرد محدود [3].

و بهذا يلتقي عند ابن خلدون منهج النحو ومنهج الدلالة في قوله " فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات أو القواعد ويقيسون عليها سائر الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغيّر الدلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات "[4]. وبهذا لم يخرج ابن خلدون

---

1 ـ عبد الجليل مرتاض، م س ، ص: 150 .

2 ـ وهو ما نلمسه في بعض عناوينه ، واعتباره للغة مجموعة محدودة أو غير محدودة. ـ تشومسكي، البنى النحوية، ص:17 .

3 ـ عبد الجليل مرتاض، م س ، ص: 150 .

4 ـ ابن خلدون : م س ، 546 .

عن لب الدرس العربي القائل بأن كل بحث في اللغة أو النحو هو بحث في الدلالة ، وكان عبد القاهر الجرجاني قبله نحويا خالصا ، له بالنصوص بصر، وبالأساليب فقه، وبتفسيرها ولوع ، وقد هداه بصره بالنصوص ، وفقهه بالأساليب وولوعه بالتفسير إلى نظريته المعروفة بنظرية النظم، وهي تقوم على معاني النحو [1]. وهو ما نجده في الاتجاهات العلمية للدرس الحديث حيث يجمع النحو والدلالة منهج واحد، مما جعل تشومسكي يجعل النحو من اللغة كالقلب من الجسم الإنساني.

إن مصطلح "نحوي" يناسب ما يطرح من إشارات حول ما قد يسمى بالنحو السليقي، ذلك النحو الذي ظل يصحب اللغة العربية الشفهية قبل جمعها واستنباط ضوابطها العامة التي صاغها ورسمها الرعيل الأول من المحترفين تحت مصطلح اسمه "النحو" . وبالنسبة للنحو التوليدي والتحويلي لتشومسكي إن كلمة "نحوي" تطلق على كل ملفوظ صادر من متكلم منتم إلى اللغة وهو مطابق لقواعدها ولذا فإن تحليل لغة طبيعية يبيّن لنا أن مفهوم "نحوي" مؤسس على حكم المتكلّمين الأصليين لهذه اللغة، وهذا حكم مرتبط بالكفاءة [2].

وهو ما يبدو في الدرس العربي القديم حيث نجد أن البدايات الأولى للنحو ظهرت على أيدي علماء القراءات، فكان هذا العلم بمثابة معرفة حاصلة عن دليل [3].

وإن المتتبع للدرس العربي يجد أن سيبويه قد تناول اللغة من أفواه قوم كانوا لا يزالون

---

1 ـ محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط1 ، 2000 ، ص: 27 .

2 ـ عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص: 152.

3 ـ عبد العال سالم مكرم، أثر القراءات القرآنية في الدّراسات النحوية، مؤسسة على جراح الصباح، الكويت، 1978، ص: 87 ، وما بعدها. لقد عرض نماذج كثيرة تحت عنوان القراءات في ضوء الأصول النحوية والآراء والتخريجات .

يتواصلون بلغة شفهية طبيعة عمادها التكرار والسماع[1]. وهذا يكذّب مقولة أن الدرس العربي اعتمد على المكتوب فقط وأهمل المنطوق.

وإن ارتكاز المماثلة في الدرس الحديث وابن خلدون جاء بهدف ملأ الفجوة العلمية في مجال الدرس اللساني ، وهذا لن يتحقق إلا من خلال هضم وفهم النظرية اللغوية التراثية القديمة، وبعدها الدرس اللساني الحديث لتحقيق نظرية لسانية عربية ، وهو ما توفر في كتب اللسانيات التمهيدية حيث نجد أن الكتابات التي قدّمت للقارئ العربي وقت بداية تعرّفه على الدرس اللساني الحديث عرّفت اللسانيات من خلال الإشارة إلى أهميتها ، من حيث موضوعها ، والمكانة التي تطّلع بها بين العلوم الإنسانية فقد أصبحت اللسانيات بمثابة القلادة في العقد داخل العلوم الإنسانية ، كما ربطت بين القديم والحديث في شكل مقارنة بين مبادئها ومبادئ التراث اللغوي [2].

إن فكرة الصراع الذي تلخصه المعادلة الآتية هل النحو لا يساوي اللسانيات، وهل التراث اللغوي لا يساوي اللسانيات قد جاءت الإجابة عنها وافية في كتابات اللسانيين العرب ، حيث يقول عبد القادر الفاسي الفهري من خلال حوار له :" إن الصراع بين اللسانيات والتراث صراع زائف، وهو مظهر من مظاهر تخلف ثقافتنا" [3].

ويجيب عبد الرحمن الحاج صالح بقوله إن التنافي بين النحو واللسانيات، والتراث العربي واللسانيات شكله بسيط جداً، فالنحو التقليدي كله تعليمي فليس هو اللسانيات، أما النحو في التراث اللغوي المتأخر كشروح الألفية فليس هو اللسانيات. أما النحو العلمي وصفيا كان أم توليديا فهو الجزء الأهم من اللسانيات، وأما في التراث العربي فلا نحو

1- عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص: 169 .

2 - انظر :عيسى مومني ، بيبليوغرافيا اللسانيات ، قراءة في أول مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية، دار العلوم، الحجار، عنابة، 2012 ، ص: 44، 45 ، 46 .

3 - حافظ إسماعيلي علوي، وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، دار الأرمان ، الرباط ، 1ط،1998،،ص: 98 .

علمي إلا عند الخليل بن أحمد وأتباعه وبعض العباقرة بعده، فهذا النحو لا يعرفه على حقيقته فيما أعلم، لا المثقفون ولا اللسانيون العرب إلا القليل، بل لا يعرفه الأولون إلا بإسقاطهم مفاهيم ابن مالك عليه ، والآخرون إلا بإسقاطهم البنيوية الغربية عليه أو اختباره بمقاييس مذهب من مذاهب اللسانيات فإذا تفطنوا إلى عدم وجود الأفكار الغربية انتقصوه واستهزؤوا به ورفضوه رفضا [1].

وهو النحو الذي عرض له ابن خلدون حين ذكر رواد الدرس النحو الأوائل من مثل أبي الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد، وسيبويه.

إن العلم لا يظهر إلا بأفكار أصيلة ولا يزدهر في بلد ما لم يأت أهل الاختصاص فيه في ذاك البلد بأفكار أصيلة [2].

وبهذا نجد الكثير ممن يفضل أن يسمي اللسانيات في الوقت الراهن بعلوم اللسان ، يرجع ذلك إلى أنها تعالج الظواهر اللسانية من عدة جوانب، وأكثرها علمية محضة، وقد لخصها عبد الرحمن الحاج صالح في الإلمام بعلوم الرياضيات الحديثة، والمنطق الرياضي، وفي الوقوف على الكثير من الظواهر الصوتية في المخابر ، وتنظيمه لدورات علمية واختصاصات جامعية تمزج بين تخصص في اللغة، وعلم الحاسوب، والهندسة.

وإن ما توفر للدرس اللساني الحديث من تمازج في الاختصاصات هو ما نجده عند ابن خلدون من دعوة لاستجماع المواهب العلمية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية ، والتربوية، وهو ما تلخصه مقولته عن الأدب، وهو الأخذ من كل علم بطرف. كما يبدو ابن خلدون في دراسته للغة من القدامى الذين كانوا أكثر جرأة من خلال اهتمامه باللهجات والدخيل وبآفات النطق وعيوبه، وهذه الجرأة تظهر عنده كما تظهر عند غير اللغويين من

---

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، حوار له في كتاب أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص: 85 .

2 - م ن ، ص: 86 .

أمثال الجاحظ، وابن حزم [1].

وتفوّق الدرس اللساني الحديث فيها فقط بما اكتسبه من تراكم معرفي وفّر له عملية حوسبة اللغة وبرمجتها، وهذا شأن التطور، فالزمن جزء من العلاج. وهوما جعل بعض اللسانيين العرب يعتبر أن الصراع بين القديم والحديث هو صراع يأتي من خارج مجتمع اللسانيين وهو صراع بين الجهل والمعرفة [2].

---

1 - الطيب البكوش، حوار له أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص: 80 .

2 - تمام حسان، حوار له ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص: 51 .

- أهم نتائج الفصل الثالث:

إن قراءة علوم اللسان في ضوء اللسانيات الحديثة يؤكد أهمية النتائج الآتية:

1 - إن إعادة قراءة التراث بآليات بحث لساني حديثة بشكل يثري اللسانيات العامة ويدقق المعرفة اللغوية التقليدية، ويكشف فعلا أن القرون الأولى للدرس العربي تكاد تتطابق مع ما وصل إليه الدرس اللساني الحديث خاصة ما جاء في النحو التحويلي التوليدي الذي كشف أن الدرس البنيوي هو عملية تصنيفية أكثر منها تفسيرية.

2 - وإن الاهتمام بالتفسير ، وتقليب المعنى على وجوهه ، والتفريق بين تركيب وتركيب هو سمة الدرس العربي الذي يذهب إلى أن كل زيادة في المبنى يترتب عنها زيادة في المعنى.

3 - وهذه القراءة تحتّم علينا أن ننظر في كثير من هذه الكتابات التي تعمد إلى إصدار الأحكام من غير الاطلاع على التراث العربي بعين المدقق المتبصر ، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره حتى لا نحاكم تراثنا على أساس أنه قديم فقط ؛ فقيمة الشيء بما يحمله في ذاته.

4 - إن ما توفر في الاتجاهات العلمية للدرس الحديث يجمع بين النحو والدلالة في منهج واحد، وإن عدّه بعضهم مقصورا على العصر الحديث ، وهو ما نجده في الدرس العربي من أن أي بحث في اللغة أو النحو هو بحث في الدلالة ، وهو الذي انطلق منه ابن خلدون .

5 - إن ما عرضه ابن خلدون من مصطلحات لعلوم اللسان يكشف أن تجاوز التراث العربي أمر مستحيل .

نتائج البحث:

إن جلّ السمات لعلوم اللسان المتوافرة في البناء النظري العربي ، أشار إليها ابن خلدون في الباب السادس والثلاثون في المقدّمة مع تسجيل سمات التمايز الابستمولوجي بينه وبين اللسانيات الحديثة.

إنه بحث في الأصول لمعرفة الدخيل من الأصيل ليكسب البحث صفة الابستمولوجية التي اتصف بها الدرس العربي ؛ فقد كان علماء العربية كلما نضج علم من العلوم ألحقوه بعلم الأصول فقالوا: علم أصول النحو، وعلم أصول الفقة. وهكذا تصنّف علوم اللسان داخل الدائرة الواسعة، دائرة معارف الإنسان .

ويظهر علم اللسان عند ابن خلدون قرين الإنسان بدونه يفقد الإنسان الاجتماع الإنساني جدواه ، واستطاع أن يفلسف الظاهرة اللسانية ، ويضبط القوانين التي تحكمها . فكان آخر من حاول تقديم نظرة شمولية في القضية اللغوية العربية تتسم بالجدة والطرافة ، وتسبق الكثير من آراء الغربيين باعتبار المقدّمة آخر بحث جاد قبل النهضة الغربية.

وتتلخص نتائج البحث كالآتي:

1- ربط ابن خلدون بين علوم اللسان وتطور العمران وبهذا يربط بين الظاهرة اللسانية، والظاهرة الاجتماعية، وجعل النحو ضمن منظومة علوم اللسان ، والكشف عن علاقته بالمعرفة البشرية العامة، وبعلوم الشريعة.

2- ارتكز على نتيجة تفكير العرب في لغتهم أولا بالذات ثم في الكلام باعتباره نظاما إبلاغيا مميزا للإنسان بوجه عام.

3- إن عرضه لعلوم اللسان هي محاولات تبسيطية تُعرّف القارئ أسس النظرية اللسانية في مختلف أفنانها، وتوجهه في ضوئها إلى إعادة وصف اللغة صوتا، وصرفا، ونحوا، ومعجما.

4- إقراره بتمازج الاختصاصات في تناول القضية اللغوية لا سيما بين علوم اللغة بمعناها المحدّد والدراسة الأدبية، وهو ما تقوم عليه اليوم الدراسات الحديثة. فاللسانيات المعاصرة تنتمي إلى منظومة معرفية متشابكة تضم المنطق، والرياضيات، وعلم الأحياء، والعلوم المعرفية.

5 - لخّص ابن خلدون في مقدّمته علوم اللسان تلخيصا مكثفاً بدأ بعلم النحو الذي نال اهتماما كبيرا من بحثه، ثمّ فرّق فيها آراؤه في النحو والنحْويين، وفي التآليف النحوية، وفي قوانين العلم وفلسفته باعتباره هو العلم المعنيّ بالتراكيب أو النظم.

6 - لقد توفّر لابن خلدون سمة التقاطع المعرفي في المقدّمة، وهو يمثل سمة السبق ، وإن اتّخذته اللسانيات كحد مشترك بين علوم كثيرة، فجاءت المقدّمة كأنها كُتبت من مجموعة متخصصين في شتى العلوم والفنون ، فإذا كتب استجمع مواهبه العلمية، واللغوية، والأدبية، والاجتماعية ، والتاريخية ، والتربوية ، وغيرها لخدمة غرضه الذي يرمي إليه كأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضُمّ في صعيد واحد : اللغوي، والأديب، والمفسّر، والمحدّث، والأصولي، والفقيه، والمربي . وكلامه في بعض المواضع يحمل على بعض، فقد يظهر في موضع ما إشكال أو إجمال ، فإذا انتقَلْت إلى موضع آخر في نفس الموضوع ربما زال الإشكال، وهو ما يبرز في علم الصرف فإنه لا يذكره مع علوم اللسان التي حدّدها في الأركان الأربعة ، غير أنه يجعله من لوازم دارس علم أصول الفقه ، و من القوانين اللسانيةُ وفي ذلك ، وهي علوم النحو، والتصريف، والبيان.

وإذا رأيت العنوان الذي يريد الكتابة فيه قلت: ماذا سيقول ؟ فإذا قرأت ما تحته رأيت العجب العجاب، لذا فإنك تحتاج وأنت تقرأ لابن خلدون أن تُحضر ذهنك ولا تتشاغل عنه.

7 - يظهر ابن خلدون في تنظيره لعلوم اللسان عالماً يثير عناصر ومواضيع لسانية عربية عامة لا يمكن وصلها بمجال نحوي أو صرفي دون سائر المجالات الأخرى بشكل من الأشكال . ومصطلحاته هي مصطلحات علوم اللسان ، والقوانين اللسانية عنده هي علوم النحو، والتصريف، والبيان، وما وراءها من استفادات أخرى خاصة من تراكيب

الكلام كحديثه على أن الكناية دلالة زائدة على دلالة الألفاظ عن المفرد والمركب . وبهذا يجمع بين مبدأ الصحة في اللغة ومبدأ الفائدة المرجوة من الكلام.

ويمكن أن تضاف جهوده هذه إلى ما قام به علماء العربية فألفوا كما هائلا من الأعمال والكتب والرسائل والمؤلفات تدفعهم رغبة صادقة، وتحفزهم همة قوية في الحفاظ على اللغة العربية، باعتبارها الوعاء والقالب.

وتمثل هذه المقاربة إعادة قراءة تراثنا اللغوي العربي في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث لدفع الحيف عنه ، وانصاف علمائه . وهو مطلب علمي ضروري يستوجب أن ينهض به الباحثون والدارسون للكشف عن أهمية هذا التراث ، وتسليط الضوء على ما فيه من أفكار جاءت متساوية في دقتها ، ومنهجيتها مع أحدث ما توصلت إليه النظريات اللغوية الحديثة.

المصادر و المراجع

المصدر الرئيس: القرآن الكريم ، روَاية وَرشٍ عَنِ الإمام نافع. الطباعة الشعبية للجيش 2007.

أولا: المصادر.

- ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد 577هـ):

1. نزهة الألباب في طبقات الأدباء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998.

- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان. 471 هـ):

2. دلائل الإعجاز . قرأه وعلّق عليه :أبو فهر/ محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع. ط3، 1992.

- ابن جني (أبو الفتح عثمان. 392هـ):

3. الخصائص، تحقيق: د/ عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2003.

- أبو حيان التوحيدي:

4 .الإمتاع و المؤانسة ، الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 .

- ابن خلدون (عبد الرحمان. 732 - 808 هـ) :

5. المقدمة، دار القلم. بيروت - لبنان. 1984.

- السكاكي (أبو يعقوب بن أبوبكر بن علي 636 هـ):

6 . مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية مصطفي البابي الحلبي ، مصر ،د ت.

- السيوطي (جلال الدين 911هـ):

7.الاقتراح في علم أصول النحو ،قراءه و علق عليه محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، ط2، 2007.

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. 180هـ):

8. كتاب سيبويه. تحقيق وشرح :عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ط3. 1988.

ثانيا: المراجع.

- الأزهر الزناد :

1.النص و الخطاب ، مباحث لسانية ، عَرْفنية ، مركز النشر الجامعي ، دار محمد علي ، . ط1 ، 2001 .

- أنور الجندي:

2 . نوابغ الفكر الإسلامي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ،1983.

- جون ليونز :

3 .نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة وتعليق حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ،ط1،1985 .

- الجيلاني بن التوهامي مفتاح :

4.فلسفة الإنسان عند ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2011.

- حافظ إسماعيلي علوي / وليد أحمد العناتي:

5. أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات. الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط. ط1. 2009 .

- حافظ إسماعيلي علوي/ أحمد الملاخ :

6.قضايا إبستمولوجية في اللسانيات. الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف. ط1. 2009.

- حسام البهنساوي :

7 .التراث اللغوي العربي، علم اللغة الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1،2004.

- حسن خميس الملخ:

8 .نظرية الأصل و الفرع في النحو العربي ، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ط1 ، 2001.

9 .الحجاج في الدرس النحوي ،عالم الفكر ، أكتوبر ، ديسمبر ،العدد2 ،المجلد40، 2011 .

ـ الحنفي بناصر ، مختار لزعر :

10 . اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر 2009.

ـ صابر الحباشة :

11. لسانيات الخطاب ، الأسلوبية و التلفظ و التداولية ، دار الحوار ، سورية ، ط1 ، 2010.

ـ صلاح إسماعيل :

12 . بناء المفاهيم ، دراسة معرفية و نماذج تطبيقية ، قصة التناص ، عالم الفكر ، العدد1، المجلد40،يوليو ـ سبتمبر، 2011.

ـ عبد الجليل مرتاض :

13 . مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث ، منشورات ثالة ،الجزائر ، 2003.

14. في رحاب اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ' بن عكنون ، الجزائر ، ط2 ،2010

ـ عبدالرحمان الحاج صالح :

14.بحوث ودراسات في علوم اللسان ، موفم للنشر ، 2007.

ـ عبد السلام لمسدي:

15. الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ط2 ، 1982.

16 . اللسانيات و أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر / المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986.

17 . التفكير اللساني في الحضارة العربية الدار العربية للكتاب، ط1،1981،1/ ط2 ،1986.

ـ عبد العال سالم مكرم :

18 .أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، مؤسسة على جراح صباح ، الكويت، 1978.

ـ عبد القادر المهيري :

19 . أهم المدارس اللسانية ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ط2 ، 1990.

- على القاسمي :

20 . علم اللغة و صناعة المعجم ، مطابع جامعة الملك سعود ط1، 1975، ط2، 1991**.**

- عيسى مومني :

21 . بيبليوغرافيا اللسانيات ، قراءة في أول مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية ، دار العلوم ، الحجار ، عنابة ، 2012.

- فتيحة حداد :

22 .ابن خلدون و آراؤه اللغوية و التعليمية ، دراسة تحليلية نقدية ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ، 2011 **.**

- فردينان دي سوسير :

23 .دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي و آخرون، الدار العربية للكتاب، 1985.

- فليب بلانشية :

24 . التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة صابر الحباشة ،دار الحوار اللاذقية /سوريا ، ط1، 2007.

- فيلي ساندريس :

25 . نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ترجمة خالد محمود جمعة ،دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2001 **.**

- كمال بشر :

26 .التفكير اللّغوي بين القديم و الجديد ، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة ، 2005 .

- مازن الوعر :

27 . قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، دار طلاس ، 1988**.**

- محمد عبد المطلب :

28 . قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ناشرون ، ط1، 1995**.**

29 . البلاغة و الأسلوبية. مكتبة لبنان ناشرون/ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. ط1. 1994.

- محمد حماسة عبد اللطيف :

30 . النحو و الدلالة ، مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي ، دار الشروق، ط1 ، 2000.

- محمود فهمي حجازي:

31 .علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مُقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات ، الكويت، د ت.

- نعوم تشومسكي :

32. البني النحوية ، ترجمة يؤول يوسف عزيز ، منشورات عيون ، الدار البيضاء ، ط2 1987.

- ن ي ، كولنج :

33 . الموسوعة اللغوية، ترجمة محي الدين حميدي ، عبد الله الحميدان ، النشر العلمي و المطابع ، المملكة العربية السعودية ،1421 هـ، 1998م .

المحتويات

الموضوع: مصطلحات علوم اللسان عند ابن خلدون في ضوء النظريات اللسانيات الحديثة ـ قراءة ابستيمولوجية ـ .

مقدمة.	**03**
المدخل: مقدّمة ابن خلدون و تداخل المعارف .	**07**
تمهيد :	**08**
أ) ـ تشابك المعارف في ا لمقدمة .	**08**
ب)ـ الظاهرة اللسانية و تحكم قوانين العمران البشري فيها .	**10**
ج)ـ مقدمة ابن خلدون و الطابع الموسوعي .	**12**
الفصل الأول : أركان علوم اللسان في مقدمة ابن خلدون .	**16**
تمهيد:	**17**
أولا : مفهوم اللسان كموضوع للدراسة العلمية .	**17**
ثانيا : استخدام ابن خلدون لمصطلح اللغة .	**19**
ثالثا : أركان علوم اللسان الأربعة .	**20**
1 ـ علم النحو .	**20**
2 ـ علم اللغة .	**24**
3 ـ علم البيان .	**24**
4 ـ علم الأدب .	**28**
رابعا : العلاقة القائمة بين الأركان المؤسسة له.	**30**
أ)ـ العلاقة الجدلية بين علمي النحو و اللغة.	**31**
ب) ـ علم البيان وعلاقته بالنحو و اللغة .	**35**
أهم نتائج الفصل الأول :	**39**
الفصل الثاني : رؤية ابن خلدون لعلوم اللسان ، ومعالم الإبداع داخل المنظومة الشاملة.	**40**
تمهيد :	**41**
أولا : المحاولات الجادة لترتيب علوم اللسان.	**41**
ثانيا : تنظيرات ابن خلدون لعلوم اللسان و ملامح الإبداع .	**47**
أ)ـ أصالة علم العربية في جوهره.	**48**
ب)ـ الموروث اللساني العربي و قيمته الحضارية .	**49**
أهم نتائج الفصل الثاني :	**51**
الفصل الثالث : قضايا علوم اللسان عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة الحديث .	52
تمهيد :	53

أولا : نقاط اشتراك ابن خلدون مع الدرس اللساني الحديث.	**53**
ثانيا : قراءة في المصطلحات الخلدونية :	**54**
أ)ــ مصــطلحا اللســان و اللغــة فــي المشــهد اللســاني الخلدوني.	**56**
ب)ـ مكانة اللسان واللغة في العلوم اللسانية عند العرب.	**58**
ج)ــ علـوم اللسـان بـين الحـد و التعريـف فـي الـدرس العربي.	**58**
ثالثـا : علـوم اللسـان العربـي عنـد ابـن خلـدون و روا د الدرس اللساني الحديث .	**59**
أ)ـ تعريف النحو عند تشومسكي .	**61**
ب)ـ النحو عند اندري مارتيني .	**61**
أهم نتائج الفصل الثالث:	**66**
خاتمة البحث .	**67**
المصادر و المراجع .	**70**
المحتويات.	**75**